مصطفى محمود

الإنسان والظل

مسرحية من فصلين



دار المعارف

الإنسان والظل

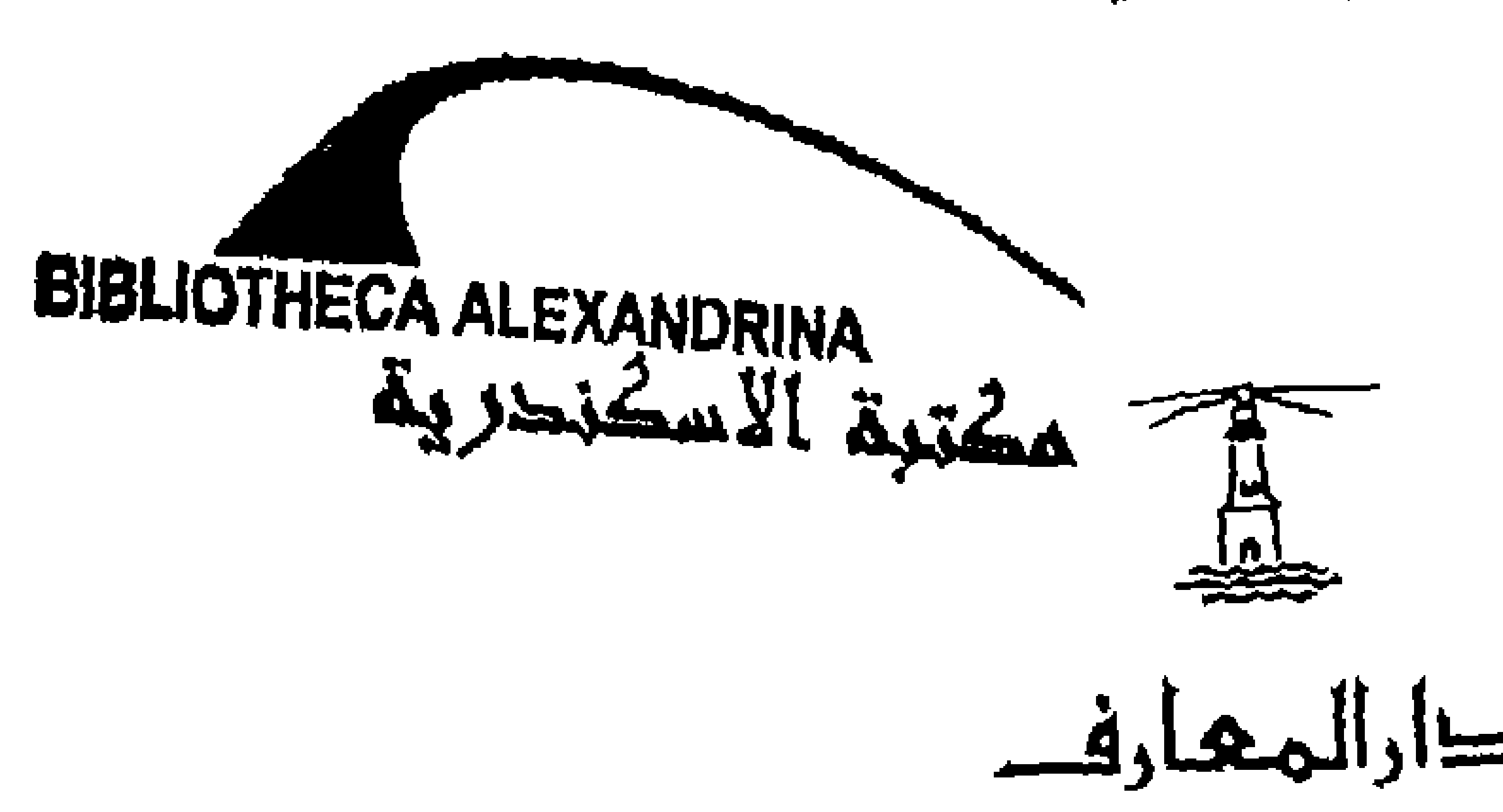
مسرحية من فصلين

مصطفى محمود

الإنسان والظل

مسرحية من فصلين

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

شخصيات المسرحية

رحمى سعودى : قاضٍ - ٥٠ سنة.

كوثر : زوجته - ٣٥ سنة.

توفيق : مُحامٍ - ابن عم كوثر.

أم رحمى : والدة القاضى.

فضل الشرقاوى : مُتهم حُكم عليه بالإعدام.

حاجب المحكمة

بوسطجى

- متهمون آخرون حُكم عليهم بالإعدام فى أحكام سابقة وشُنقوا

برولوج

الوقت: نهارًا

المنظر

منصة القاضى فيها المستشار رحمى سعودى إلى جانبه عضوان: عضو يمين، وعضو يسار، بينما تفتح الستار يلقى النور الكاشف على وجه المستشار رحمى ونراه يقوم ليلقى بالحكم.

رحمى : باسم الأمة: حكمت المحكمة على المتهم فضل الشرقاوى حضوريًّا بالإعدام.

[ضجيج يشمل القاعة عند سماع كلمة «حضوريًّا» ويغرق صوت القاضى]

صوت امرأة : برىء ياسعادة البيه.. برىء.. برىء.

صوت الشرقاوى: لا.. أنا قتلته.. قتلته بإيديا دول.. ولو شفته قدامى حاقتله تانى [يصرخ] فين هوه وأنا أقتله تانى.. فين هوه وأنا أقتله تانى...

[ظلام تدريجى على المسرح واختفاء تدريجى للصوت حتى يختفى المنظر تماما]

الفصل الأول

الوقت: مساءً

[تزاح الستار للمنظر الثانى فى بيت القاضى رحمى.. غرفة مكتب ستيل واسعة أنيقة.. مكتب كبير منقوش بالأوية طراز قديم وكتب على رفوف بالجدران.. ساعة حائط وستارة على النافذة عدد من الكراسى الجلدية.. صورة لرحمى فى روب القضاء والوشاح الأخضر ذى الهلال والنجوم.. باب الغرفة مفتوح ونرى من خلاله بوضوح أم رحمى تصلى على سجادة فى الغرفة الأخرى.. زهريات ورد كبيرة فى كل مكان.

كوثر تقطع الغرفة ذهابًا وإيابًا فى عصبية.. ثم تتوقف لتلتفت حولها.. تضع يدها على أذنيها.. ثم تعود لتذرع الغرفة فى عصبية.. يبدو أنها فى أزمة.

نرى الأم تطوى السجادة ونسمع كلمة]

الأم : يارب.

[الأم تدخل من الباب.. كوثر تلقى بنفسها بين ذراعيها]

كوثر : [هاتفة]: أنا مش قادرة استحمل اكثر من كده.. مش قادرة.

الأم :يابنتى الصبر طيب.

كوثر :أنا مش عارفه جرى له إيه.. مش ده رحمى.. رحمى اللى متجوزاه من ٣٠ سنة.. رحمى اتغير.

الأم :يابنتى دى وسوسة شيطان.

كوثر :تصورى إنه كان حايقتلنى.. رحمى.. العاقل الهادى اللى عمره ما رفع صوته عليه.

الأم :يمكن كان تعبان من الشغل.. وأنت عارفه أنه بيسهر للفجر يقرأ القضايا سطر سطر.. وحرف حرف.

كوثر :طول عمره بيشتغل ويسهر.. عمره ما اشتكى ولا فقد أعصابه.. إيه اللى غير حاله؟ حانقول بيشرب.. عمره ما حط الخمرة فى بقه.. حتى السجاير مابيدقهاش.

الأم :ولاد الحرام كتير يا بنتى.

كوثر :وحايجولو منين؟ وحايشوفوه فين؟ ده مالوش طريق غير شغله.. من البيت للمحكمة ومن المحكمة للبيت.

الأم :يمكن فيه حاجة تعباه.. يمكن فيه فى قلبه حاجة.

كوثر :ياريت يفتح لى قلبه.. ياريت يشتكى لى.. كام مرة اتمنيت أنه يقعد جنبى يكلمنى من غير تكليف يحكى لى متاعبه يكاشفنى بعواطفه.. لكن أبدًا.. العمر اللى عشناه كان كله تكليف.. ورسميات.. كان دائمًا القاضى الوقور المتحفظ.. حتى فى بيته أنا عمرى ما عرفته.. أنا مراته عمرى ما عرفته.

الأم :أنا أمه وعارفاه.. رحمى طيب وغلبان.

كوثر :عمرى ما حسيت انه طيب.. اسألى أى حاجب فى المحكمة يقولك إنه بيحكم من غير رحمة.. مافيش متهم وقع بين إيديه ماخدش إعدام أو أشغال شاقة.. دايمًا بيحكم بأقصى العقوبة.. أقصى العقوبة.. وفى البيت معايا ومعاكى ومع الخدامين ما عندوش قلب.. كل شىء عنده بالعقل والمنطق.. حياته مواد.. ولوايح.. وقوانين [تصرخ] لكن احنا بشر بشر بشر!

الأم :يابنتى أنت جرى لك إيه؟

كوثر :[تنهار باكية]: أنا مش عارفة أنا جرى لى إيه.. أنا باخاف منه.. باخاف أبص فى عينيه بيتهيألى أنه حايقتلنى.. تصورى إنه بيشك فيه أنا مراته من ٢٠ سنة.. بيشك فيه.

[نرى توفيق داخلا.. شاب أنيق وسيم - محامى ابن عمر كوثر وصديق الزوج]

الأم :تعال يابنى شوف بنت عمك جرى لها إيه.. أنا مش فاهمة إيه حكايتها.

[الأم تخرج.. توفيقٌ مقبلا على كوثر المنهارة على الكرسى]

توفيق :إيه يا كوثر مالك؟

كوثر :[مازالت تبكى]: مش عارفة يا توفيق.. حاسة إنى مش عايشة.. أعصابى بتنهار يوم بعد يوم أنا باتخنق فى البيت ده.. بتخنق.

توفيق :إيه الكلام ده؟! انتِ اتجننتى؟! دلوقتى عرفت ليه بتشتكى من معاملة رحمى اللى اتغيرت.. دلوقت عرفت مين اللى اتغير.

كوثر :مين اللى اتغير؟

توفيق :انت اللى اتغيرتى يا كوثر.. انت اللى جننتى جوزك وخليتيه يخرج عن صوابه.

كوثر :ياريتنى أقدر أخليه يخرج عن صوابه.. دنا عمرى ما قدرت أأثر فيه.. عمرى ماقدرت أحرك قلبه.. كان دايمًا العاقل الكامل الجامد الشعور اللى ما فيش حاجة تهزه.. كام مرة اتمنيت أنه يغلط عشان أسامحه.. يضعف عشان أقف جانبه.. أحس مرة أنه بنى آدم وأنه له قلب وعواطف.

توفيق :صحيح هى دى طبيعة رحمى طول عمره.. وهو طالب فى الحقوق.. وهو فى النيابة.. وهو فى القضاء: كان دايمًا الإنسان العاقل الساكت اللى مايتكلمش إلا بحساب.. كان لما يسمعنا نحكى على مغامراتنا العاطفية يضحك ويقول عواطف إيه اللى بتتكلموا عنها.. وخليتوا إيه للشعراء.. رجال القانون لازم يبقوا أهل منطق وعقل مش أهل عواطف، لكن فى النهاية رحمى اتجوزك.. فى النهاية حب زى كل الناس.

كوثر :[فى ألم]: حب: [تنظر إلى توفيق فى حيرة] تفتكر رحمى

بيحبنى.. رحمى لما اتجوزنى كنت بالنسبة له زيك تمام.. مجرد زميل.

توفيق :لا يا كوثر.

كوثر :رحمى اتجوزنى لأن الجواز عادة حميدة بيأمر بها العقل والمنطق.. اتجوزنى لأن كل راجل محترم فى مجتمعنا بيتجوز.

توفيق :ده كلام روايات.. أنا مش عارف أنت عاوزه إيه.. مرة بتشتكى من جوزك لأنه عصبى.. ومرة بتشتكى منه لأنه بارد مافيش حاجة بتحركه.. أنا مش فاهم.

كوثر :[تمسح دموعها فى كبرياء]: أنت مش فاهم أى حاجة.. أنت زى كل الرجالة بتنظر للست على أنها حتة موبيليا.. وتنكر عليها حقها أنها تتكلم.. تتألم.. تشتكى.. [موسيقى] لو كنت عشت سنة «وحيد» زيى كنت عرفت إيه معنى أنك تبقى عايز تتكلم.. ونفسك تلاقى حد تكلمه.. ومش لاقى حد تكلمه.

توفيق :[مقبلا عليها فى إشفاق ممسكًا بيدها فى رفق]: كوثر.. أنا مأقصدتش أجرحك.

كوثر :[تبتسم من خلال دموعها]: واحنا صغيرين لما كنا بنلعب فى الجنينة.. كل الأحبة اتنين اتنين.. كنت ساعات متلاقيش حد يلعب معاك.. وكنت تقعد تعيط تحت تكعيبة العنب.. فاكر؟

توفيق :[مبتسمًا]: أيوه فاكر.

كوثر :[سرحانة من خلال دموعها]: وفاكر شعورك وأنت قاعد لوحدك.. وكل ولد معاه بنت تلعب معاه.

توفيق :كنت باحس إنى زى اليتيم.

كوثر :أنا عشت شبابى يتيمة.. زيك وأنت قاعد تعيط تحت التكعيبة.. كنت باقضى الليل سهرانة لوحدى فى أودتى وهو سهران مع الدوسيهات والقضايا.. عمره ما فكر أنه يبص لى حتى على أنى قضية مركونة منسية.. أى مجرم قَتَّال قُتَلَى كان بيثير اهتمامه أكثر منى.. كان بيعيش بيفكر فيه ليالى.. كنت باسأل نفسى دايمًا: إيه سر الجفاف الشديد فى طبعه؟ إيه السر؟! أنت صاحبه يا توفيق.. أنت لازم تعرف عنه أكتر منى.

توفيق :أنا فى الحقيقة عمرى ما قدرت أفهمه.

كوثر :أنت اللى بتقول الكلام ده.. أنت اللى عاشرته أكتر من «أخوه» وفتحت له قلبك وفتح لك قلبه.

توفيق :رحمى عمره ما فتح قلبه لحد.

كوثر :وده يبقى إنسان طبيعى؟

توفيق :مش عارف أقول لك إيه [مترددًا.. يفكر] مش عارف.. يمكن يكون عيان.

كوثر :أنا برده ساعات باقول إنه عيان.. لكن عيان بإيه؟ ممكن الإنسان يبقى مصاب بعاهة فى الشعور؟ يبقى

عاجز عن الحب زى الأعمى العاجز عن البصر.. يبقى مولود من غير قلب.

توفيق :لا.. أنا قصدى عيان.. عيان.. أنا شفته النهاردة داخل عيادة دكتور.

كوثر :هو طول عمره بيجرى ورا الدكاترة.. والنهاردة صبح يسأل على دكتور عشان يعالج صباعه.. هو عايش فى الخوف.. خايف من المرض وهو عمره ما رقد بمرض. وخايف من الفقر وهو عمره ما شاف الفقر.. ساعات بيتهيأ لى أنه اتجوزنى من خوفه.. من خوفه لَيْمُوت وحيد.

توفيق :كوثر، ما تظلميش رحمى للدرجة دى.. رحمى بيتعذب.

كوثر :بيتعذب؟! أنت بتقول بيتعذب؟!

توفيق :لو كان زى ما بتقولى من غير قلب كان ارتاح.. اللى بيفقد الشعور والقلب بيرتاح.

كوثر :مش قادرة أفهم.

توفيق :أنا باحس دايمًا أنه بيتعذب.. لكن مش قادر أوصل للسبب.. كل ما أقرب له أحس أنه بيبتعد عنى وبيخش جوه نفسه.. وكل يوم بيخش جوا نفسه أكثر.

كوثر :وأنا يا توفيق.. حاولت تحس بى مرة.. حاولت تعرف قد إيه أنا باتعذب.

توفيق :كوثر.

كوثر :وأنا ايديا ممدودة بالحب والحنان والرحمة ومفيش إيد بتمتد لى.. وأنا بادق على باب مقفول.. وبكلم واحد مش بيسمع.

توفيق :رحمى بيسمع.. رحمى بيسمع.

كوثر :بيسمع وبيشوف.. وبيحس.. أمال ليه مابيقدرش يحس بيه ؟

توفيق :بيتهيأ لى كل واحد فيكم بيتكلم لغة مختلفة عن التانى.

كوثر :نفسى تعرف لغته عشان تفهمها لى.

[صوت رحمى يرتفع عاليًا خشنًا من خارج المسرح]

رحمى :أنا قلت مش عاوز ورد.. مش عاوز ورد.. ريحة الورد بتخنقنى.. بتخنقنى.

[كوثر تفيق على صوت زوجها.. وتتبدل سحنتها ويبدو عليها الغم]

كوثر :رحمى جه [وما تلبث أن تخرج مسرعة].

رحمى :فى كل حتة ورد.. ورد.. أنا بتخنق.

[صوت من الخارج.. يدخل رحمى يده مربوطة برباط شاش]

رحمى :أهلا توفيق.. أنا اتأخرت عليك.. معلش.. أصل عديت على الدكتور.

توفيق :إيه؟! مال إيدك.. إيه اللى جرحها؟

رحمى لو حكيت لك مش حاتصدق.. وحاتقول عَلَىَّ مجنون.

توفيق :[ضاحكا]: أهى دى اللى عمرى ما حقولها أبدا.

رحمى :لكن هى دى الحقيقة [يتهالك متعبًا مكدودًا ثم يقوم ويذهب ويجىء فى قلق ثم يتلفت حوله قائلا فى رجفة]

رحمى :الهوا ده جاى منين.. فيه تيار هوا.. يا ساتر.. أنا بردان!

توفيق :بردان منين بس.. ده احنا فى عز الحر.. والشبابيك مقفلة.. ومفيش نسمة هوا.

[رحمى يتلفت حوله ليتأكد من أن الشبابيك مقفلة فعلا ثم يغمغم]

رحمى :كده.. طيب.. أنا حبيت أتأكد بس.. أصل أنت عارف الروماتزم لما بيتمكن من المفاصل.. يلا السلامة.

[تدخل كوثر حاملة صينية عليها شاى وساندوتشات يتطلع إليها رحمى مرتابا]

رحمى :اوعى تكونى حطيتى لى سكر [يخرج علبة من جيبه] هاتى وأنا أحط بنفسى.

[يأخذ فنجانه ويضع فيه فتفوتة سكرين]

توفيق :إيه اللى بتحطه؟

رحمى :سكرين.. احنا دلوقتى فى السن الحرجة.. والإسراف فى النشويات يجيب لنا السكر والوقاية خير من العلاج.

توفيق :أعوذ بالله.. والله يا أخى أنا عندى أعيا بالسكر ولا أنى أعيش طول عمرى آخذ وقاية منه.. حطى لى يا أختى تلات حتت.. حطى.. روماتزم إيه وسكر إيه.. أنت بخير والحمد لله وصحتك كويسة إيه لازمة الخوف.. دى

العيشة فى الخوف كده الموت أرحم منها.

رحمى :الموت.. [ينظر إليه نظرة غريبة] وهو فين الموت؟

توفيق :اللى أنت فيه هو الموت.

كوثر :[تسحب كرسيا وتجلس] وأشنع من الموت.. الموت على الأقل راحة وإنما العيشة فى العذاب كده جحيم.

رحمى :[مازال ينظر نظرات غريبة]: جحيم فعلا.. هى جحيم.. مين يعرف؟ يمكن أنا عملت حاجة أستحق عليها الجحيم.

توفيق :إيه التخريف ده؟

رحمى :أمال يعنى الناس بيتحطوا فى الجحيم من غير سبب؟

توفيق :الناس هما اللى بيحطوا نفسهم فى الجحيم بسوء تصرفهم.. وأنت حكمت على نفسك بالجحيم بوسوستك وخوفك ورعبك من كل حاجة.

رحمى :[يصفق]: مرافعة عظيمة يا أستاذ توفيق.. رائع.. براءة.. إفراج يخرج رحمى من الجحيم.. يفرج عنه حالا [يبتسم وينظر إليها نظرات غريبة] ياريت الدنيا سهلة كده زى ما هيه سهلة فى المحاكم.. ياريت ألاقى المحامى اللى يطلعنى براءة ويفرج عنى [ينظر إليه متوسلا] عندكش محامى كويس ياخذ اللى ياخده بس يترافع عنى بذمة ويطلعنى من الغُلب اللى أنا فيه.

توفيق :[ضاحكًا]: حتطلع تروح فين يا رحمى.

رحمى : [فى يأس]: فعلاً.. حاطلع أروح فين؟ حروح من نفسى فين.. واطلع منها ازاى.. اشرب يا توفيق [يناوله فنجانه.. يتلفت حوله فى حيرة] ساعات بيتهيأ لى أن كل ده مش حقيقى.. أنا وأنت وكباية الشاى وطعم السكر وابتسامة كوثر ومرارة العلقم اللى جوه قلوبنا والضحك والدموع كل ده مش حقيقى.. حاجة زى حفلة تنكرية بروفة ورا الكواليس خيالات بعد كاسين وسكى.. كابوس بعد أكلة ثقيلة.. تصاوير زى اللى بنشوفها فى كتب الأطفال [يسرح لحظة].. ساعات بفكر.

[يصمت طويلا فى حيرة ولا يتم جملته]

توفيق : [فى فضول]: بتفكر فى إيه؟

رحمى [بإشاحة من يده]: لا مفيش فايدة لا حتفهمنى ولا حافهمك.

توفيق : [يستحثه]: أبدًا.. تأكد أنى حافهمك.

رحمى : هو خبر غريب.. يمكن ما تصدقش.. أنت فاكر الشرقاوى؟

توفيق : [محاولا أن يتذكر]: القضية اللى حكمت فيها بالإعدام على فضل الشرقاوى.. أيوه فاكرها.

رحمى : [يلقى بقنبلته]: فضل الشرقاوى لسه عايش.

توفيق [يقفز من كرسيه]: فضل الشرقاوى اللى اتشنق من كام سنة.. عايش؟! أنت بتقول إيه؟!

رحمى : باقول إنه عايش.

توفيق : قصدك عايش فى خيالك؟! أو فى..

رحمى : عايش فى الدنيا.

توفيق : إيه الكلام ده.. أنت حاتجننى؟

رحمى : أنا باقولك على الحقيقة.

توفيق : وقلت للدكتور على الكلام ده.

رحمى : لأ طبعًا..

توفيق : [ينظر إليه فى إشفاق]: رحمى.. أنت لازم تاخذ اجازة من الشغل وتستريح.. أنا عارف أن قضية السفاح بشندى طولت وتعبتك.. وتعبتنا احنا كمان.. والمرافعات مش حاتخلص والملف اللى كان صفحتين بقى ألف صفحة.. وأنت بترهق نفسك.

رحمى : أنت عايز تقول إن عندى «انهيار عصبى»؟

توفيق : [فى يأس]: على كيفك أنت حر.. أنا مش معقول حا انصحك وأنت أكبر منى وأدرى بنفسك.

رحمى : مش قولتلك مش حاتفهمنى.. [يشيح بيده] عالعموم ما تزعلش.. اعتبر الكلام اللى قلته نكتة.

توفيق : نكتة.. [ينظر إليه فى دهشة]

رحمى : أنكت مرة من نفسى يا أخى.. طول عمرى مانكتش ولا نكتة..

توفيق : [مازال ينظر إليه فى عجب]: لكن دى تبقى نكتة غريبة قوى.

رحمى : يعنى مش ساعات بتشوف نفسك فى الحلم جرادة.. وتبقى مندهش جدا إزاى أنت جرادة بتاكل ورق شجر.. وتبقى زعلان ومش مصدق.

توفيق : والآخر بصحى.. بلاقى نفسى إنسان مش جرادة زى ما أنت شايف.

رحمى : [ضاحكًا]: وإيش عرفك إنك إنسان دلوقت.. مش جايز أنت جرادة بتحلم أنها إنسان وأنك حاتصحى كمان شوية تلاقى نفسك جرادة.

توفيق : [يشد شعره]: لا أنت النهاردة حاتجننى.. إيه رأيك فى الكلام ده يا كوثر؟

كوثر : أنا مش فاهمة حاجة.

رحمى : أحسن.

توفيق : رحمى..

رحمى : أمال لو حكيت لكو على الحكاية التانية اللى حصلت لى حاتعملوا إيه؟

كوثر وتوفيق: حكاية إيه كمان؟

رحمى : حكاية الجرح اللى فى إيدى وسببه.

توفيق : أيوه صحيح أنت ما حكيت لناش على الجرح اللى فى إيدك.

رحمى :لو قلت لكو برده مش حاتصدقوا.

توفيق :يا سيدى حانصدق.. بس قول لنا.

كوثر :أطلع بره عشان تتكلموا على راحتكم.

رحمى :ليه بقى.. هو أنا تعورت فى كباريه؟

توفيق :أمال إيه يا أخى حيرتنا!!

رحمى :[يقوم من كرسيه ليذرع الغرفة فى شرود]: أبدًا.. ولا حاجة.. أصلى اتعورت فى الحلم.

توفيق :فى الحلم؟

رحمى :أيوه فى الحلم.. واحد ضربنى بسكينة فى الحلم.. صحيت لقيت إيدى مقطوعة والدم نازل منها.

[كوثر تنظر إلى توفيق نظرات ذات معنى]

توفيق :رحمى.. أنت حاترجع للنكت تانى.

رحمى :مش قلت لكو أنكو مش حاتصدقوا.

توفيق :رحمى.. أنت لازم تحكى لنا بالضبط إيه الحكاية.. أنت مش طبيعى اليومين دول ولازم فيه حاجة مخبيها علينا.. ولازم تقول لنا عليها.

[رحمى ينظر إليهما.. يبدو عليه الارتباك ولا يتكلم]

توفيق :رحمى.

رحمى :[فى ارتباك]: أصل ما فيش فايدة.. مافيش حد فينا حايفهم التانى.

توفيق :ماهو مش معقول كمان تضحك علينا بالكلام الفارغ

بتاع الأحلام ده.. ده كلام ما يخششِ عقل.

رحمى :عقل؟! عقل مين؟!

توفيق :العقل المنطقى الحصيف اللى بيصوغ العدالة ويورينا الحقيقة فى المحكمة كل يوم.

رحمى :[ساخرًا]: حقيقة إيه.. وعدالة إيه.. احنا حانغنى على بعض.. هو فيه حاجة فى الدنيا دى اسمها عدالة.. ولا حقيقة؟

توفيق :رحمى.

رحمى :بذمتك فيه فى الدنيا عدالة؟! القاتل الذكى اللى بيقتل عينى عينك فى حروب النهب والعدوان حد بيقول له تلت التلاتة كام.. مش بياخذ نشان وترقية على جريمته.. ويقولوا عنه البطل اللى دافع عن الديموقراطية والحرية وحرر الشعب من نير العبودية الخ.. الخ.. ما هو كل واحد حايلاقى له شعار وكلام يقوله، ومدام معاه أوامر وورقة ممضية حايقدر يعمل أى حاجة.. يقتل يسرق ينهب.. يسجن.. يعنى السفاح بشندى اللى احنا سجناه بأوراق وأحكام وحيثيات يعنى أنت متأكد أنه مجرم.. ولما أنت متأكد أنه مجرم صحيح.. كنت بتدافع عنه ليه وتطلب له براءة.

توفيق :عشان يبقى عنده فرصة يقول كل حاجة.

رحمى :عمره ما كان عنده فرصة يقول أى حاجة.. أنت اللى

كنت بتتكلم طول الوقت وهو مسلسل فى القفص.

توفيق :[يسكت مأخوذًا: لحظة صمت ثم يقول بارتياب]:
وحا تنظر قضية بشندى.. بالطريقة دى من يوم ورايح.

رحمى :ومين قال لك إنى حانظر قضايا.. أنا خلاص طلبت إحالتى على المعاش وتسوية مرتبى.

[توفيق وكوثر يصيحان فى وقت واحد]

توفيق :رحمى!

كوثر :رحمى أنت بتقول إيه؟

رحمى :أنا تعبت.. الفاعل اللى بيشيل الطوب على دماغه بيجيلوا ساعة بينهد وينام وأنا اتهديت.. عقلى اتهد.. أنا مش فاهم حاجة.

توفيق :[فى حيرة]: مش معقول.. مش قادر أصدق أن اللى بيقول الكلام ده هو اللى حكم بالإعدام والأحكام القصوى بالسجن والأشغال الشاقة على المئات.. هو.. المستشار رحمى اللى بيرعب أعتى المجرمين.

رحمى :كان زمان.. دلوقت المستشار الرهيب أقل شىء يرعبه.. ضله على الحيط يرعبه.. دقات قلبه ترعبه.. كلمة الحق ترعبه.

توفيق :كلمة الحق؟

رحمى :مفيش شىء يخوف قد كلمة الحق.. يمكن لو فكرت فى كلمة الحق دلوقت تموت نفسك.. يمكن تنتحر.

توفيق :أنا طول عمرى بافكر فى كلمة الحق.. ده عملى.. حرفتى.

رحمى :الحق مش ممكن الواحد يحترفه.. ده له اسم تانى اللى أنت بتحترفه.. اسمه الباطل.

توفيق :لا.. ده أنت فعلا تعبان.. تعبان أوى.

رحمى :الحق زى الشمس الواحد ما يقدرش يبص فيه.. ولو بص فيه بيعمى.. هتلر الجبار لما بص لوجهه الحقيقى فى اللحظة الأخيرة ضرب نفسه بالرصاص.. ماقدرش يبص مرة تانية.. مقدرش يواجه الحقيقة.

توفيق :وأنت شفت الحقيقة.

رحمى :أنا إنسان كليل البصر.. أنا شخت.. عجزت.. أنا دلوقتى فى المنفى.

توفيق :أنت اللى بتنفى نفسك بنفسك.

رحمى :[يرفع بصره وينظر إلى توفيق وكوثر ولا يجيب.. لحظة صمت]: حا أقول لك إيه عمرك ما حاتقدر تفهمنى.

كوثر :أنت تعبان يا رحمى.. أنت لازم تاخذ أجازة زى ما بيقول توفيق.. بلاش المعاش وخد اجازة.. العقل له حدود احتمال وانت تعبت نفسك كتير.

رحمى :[يضحك ضحكة خافتة]: قصدك أنى اتجننت.. جايز.. مين يعرف.. أنا عاذرك.. أنا كمان شايف انك اتجننت وشايف الدنيا كلها جنان فى جنان.

توفيق :يا رحمى اسمع الكلام.. أنت لازم تستريح.. أنا حا أكلملك واحد دكتور صاحبى كويس فى الأعصاب.

رحمى :أشكرك.. عارفه.. رحت له.

توفيق :رحت له؟

رحمى :لقيته مجنون زيى وزيك.

كوثر :[تنظر فى ساعتها]: رحمى.. أنت سهرت النهاردة أكثر من اللازم وضرورى تستريح.

توفيق :صحيح كفاية سهر النهاردة عشان أنت تعبان [يقوم متهيئا للخروج]أنا ماشى بقى.

رحمى :إيه مستعجل ليه؟ رايح فين؟

توفيق :معلش عشان تستريح شوية.. حافوت عليك بكرة.. أول ما أخلص من الشغل.

[رحمى ينظر إليه فى شرود.. وتوفيق يخرج وهو محزون مهموم مبلبل الذهن.. ويودعه الاثنان حتى الباب.. رحمى مازال ينظر أمامه فى شرود.. كوثر تنظر إليه فى خوف.. رحمى يتمشى فى الغرفة وهو سارح].

كوثر :[مازالت تنظر إليه بخوف]: أجيب لك كباية لبن دافى.. أنت ما اتعشتش.

رحمى :طيب.

[تخرج كوثر ويجلس رحمى على المكتب ويفتح دوسيهًا به مئات الصفحات ويضىء لمبة المكتب.. ويطفئ النور الكبير.. وينهمك فى

القراءة.. ثم تدخل كوثر وبيدها كوب اللبن الدافئ]

كوثر :أنت حاترجع تانى للدوسيهات دى.. مش قلنا حاتستريح النهاردة؟

رحمى :التعب هو دوايا.. هو المسَكِّن اللى باخده كل يوم عشان أنسى.

كوثر :تنسى؟! تنسى إيه؟

رحمى :أنسى نفسى.. لما باستريح كل حواسى بتصحى.. وأشوف كل شيء بوضوح مؤلم رهيب.

كوثر :يا رحمى أنت حاتموت نفسك بالأفكار دى.

رحمى :هو فين الموت؟ الواحد يلاقيه فين؟! ياريت الواحد يقدر يموت زى ما بيطفى لمبة المكتب كده.
[يضغط على زر لمبة المكتب فتنطفئ ويسود الظلام تماما فى الغرفة.. تصرخ كوثر مذعورة] شوفى الضلمة جميلة إزاى.. أهو الموت جميل كده.

كوثر :رحمى.. عملت كده ليه.. طفيت النور ليه؟

رحمى :[فى الظلام]: إيه مالك خايفة كده؟! هى دى أول مرة نقعد لوحدنا فى الضلمة.. أنت نسيتى إن احنا متجوزين بقالنا عشرين سنة وكل ليلة بننام لوحدنا فى الضلمة.

كوثر :أنا مش خايفة من الضلمة.. أنا خايفة منك.

رحمى :خايفة منى؟! فيه واحدة تخاف من جوزها اللى معاشراه وعارفاه؟

كوثر :احنا عمرنا ما عرفنا بعض يا رحمى.

رحمى :صحيح.. صدقتِ فى الكلمة دى.. احنا ساكنين مع بعض بس.

كوثر :[تصرخ]: ولع النور يا رحمى أرجوك.

رحمى :وإيه لازمته؟

[صوت خطوات]

كوثر :[فى رعب]: رحمى!

رحمى :شوفى الضلمة جميلة إزاى.. مافيهاش ولا كذبة واحدة.. لو كان الواحد يقدر يمسح حياته زى ما بيمسح الأضواء الكذابة دى كانت بقت حاجة جميلة.. لو كنت أقدر أمسح صورته من قلبك.

كوثر :هو مين؟

رحمى اللى بتحبيه.

[صوت خطواته وهو مقبل عليها فى الظلام]

كوثر :[تصرخ] رحمى..

[يشعل رحمى النور الكبير.. ويكون فى تلك اللحظة واقفًا بجوار الباب].

كوثر :رحمى.. أرجوك.. أنا عملت إيه عشان تعذبنى العذاب ده كله وتعذب نفسك معايا.. لأمتى حاتستمر فى الجنون ده [تبكى].

رحمى :لغاية ما نموت.

كوثر :أنت عاوز منى إيه.. بتعمل فيه كده ليه .. أنت بتعاقبنى.. أنا عملت فيك حاجة؟!

رحمى :حياتنا كلها كذب فى كذب.. فيه جريمة أكبر من كده.. خيانتك لى كل يوم.

كوثر :[تصرخ]: أنت مجنون.. خنتك امتى.. ومع مين.. أنت بتحلم!

رحمى :وأنت بتحلمى كمان.. حلم اليقظة الطويل الجميل بين أحضانه.

كوثر :أنت مجنون.. أنا مش ممكن أقعد معاك لحظة واحدة.. أنا طهقت خليك.. اتجنن لوحدك.. أنا سايبالك الدنيا.

[تهرول خارجة وتصفق الباب وهو واقف فى مكانه لا يتحرك.. وينظر إلى الفراغ فى شرود.. يمشى ببطء ثم يتهالك على المكتب.. يطفئ النور الكبير ويضىء لمبة مكتب صغيرة نورها خافت مظلل الغرفة تغرق فى إضاءة خافتة.. يضع رأسه بين كفيه].

[موسيقى تأثيرية تزداد شدة وعنفا لحظة بعد أخرى تنشق أرض غرفة المكتب لتخرج منها هيئة محكمة كاملة من ثلاثة قضاة على منصة.. وممثل اتهام.. ومحام وحاجب.. وقفص اتهام.. قفص الاتهام ليس به أحد.. ونلاحظ أن كوثر هى التى تلبس ثوب ممثل الاتهام.. وأن توفيق هو المحامى.. كما نلاحظ أن القضاة الثلاثة والحاجب يلبسون ملابس المساجين وفى أيديهم وأرجلهم سلاسل، وعلى رأس كل واحد لبدة ونمرة نحاس والقضاة يلبسون وشاح القضاء الأخضر

ذا النجوم فوق هذا الزى.. إضاة شديدة على المنصة والقفص.. وعلى ممثل الاتهام والمحامى.. طول الوقت رحمى يخفى رأسه بين كفيه.. ولا يبدى حركة تدل على أنه يفطن إلى ما يجرى.. الموسيقى تزداد عنفًا ثم تسكت فجأة ليعلو عليها صوت الحاجب مناديًا المتهم].

الحاجب : [ينادى]: رحمى محمد سعودى.. [يعود فيكرر الاسم بصوت مرتفع كالصراخ] المتهم رحمى محمد سعودى.

رحمى : [يجاوب وهو مازال يخفى رأسه بين كفيه]:
أيوه أنا هه.
[يرفع رأسه.. ولا يبدى اندهاشًا.. وكأنه يعرف ما يجرى.. وكأنها ليست أول محكمة يحضرها.. ويقوم متهالكًا ويدخل قفص الاتهام.. صوت غلوشة وهمهمة]

القاضى : [يدق المنضدة بالشاكوش الخشبى] سكوت من فضلكم.
[ممثل الاتهام يقف ملوحًا بيده]

كوثر : [فى زى ممثل الاتهام]: هذا المتهم يا حضرات المستشارين.. هذا الرجل الذى يقف أمامكم فى استكانة وذلة وكأنه ملاك برىء هو مجرم أثيم مخضب اليدين بالدم.. قاتل سفاح قتل عمدًا مع سبق الإصرار والترصد أعضاء هذه الهيئة الموقرة.. ففى صبيحة الأحد ١٥ مارس سنة ١٩٤٧ أصدر حكمًا بالإعدام شنقًا على سيادة فضل الشرقاوى الذى يتصدر هذه المنصة.. وفى صبيحة

الثلاثاء ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٤٨ أصدر حكما بالإعدام على محمد قناوى ومحمود قناوى وسالم قناوى وسليم قناوى..

[يشاور بيده على الضحايا واحدًا واحدًا حيث يحتلون مقاعدهم من المحكمة].

هذا عدا أحَد عشر حكمًا آخر بالإعدام تأجل النظر فيها لحين حضور المحكوم عليهم.. ستة عشر روحًا من البشر أزهقها هذا الرجل شنقًا دون أن يختلج له جفن.. كل روح لم تكن تعنى عنده أكثر من توقيع على دفتر.. وفعل ما هو أبشع من هذا كله.. وأبشع مما يفعله أى قاتل محترف.. كان يزهق أرواح ضحاياه وهو مزهو فخور معتد وكأنه يقدم خدمة إنسانية.. فعل هذا بكامل قواه العقلية وبكامل وعيه..

المحامى :اعتراض من فضلك.. المتهم ينكر بشدة أنه كان بكامل قواه العقلية، ويقرر أنه كان واقعًا تحت تأثير..

القاضى الشرقاوى [مقاطعا]: دى حجة قديمة.

قاضى اليمين: واقع تحت تأثير إيه.. الحشيش.. والا الكوكايين..

المحامى :واقع تحت تأثير أشد من الحشيش والكوكايين والمخدرات كلها.. واقع تحت تأثير القانون الجارى.. تحت تأثير العرف الاجتماعى.. وروح العصر.

الشرقاوى :إيه القانون الجارى.. والعرف الاجتماعى.. وروح العصر.

كوثر :دى كلمات ماهاش راس من ديل.. ثم القانون ده مش شيء جامد.. ليه ماطالبش بتطوير القانون إذا كان مش مقتنع بيه؟

القاضى :أنا عاوز أسأل المتهم دلوقت بعد إذن الدفاع.. هل كان مقتنعًا بالقانون اللى بينفذه والا لأ؟

كوثر :[فى زى ممثل الاتهام]: المتهم يجيب.
[رحمى ينظر فى ارتباك]

القاضى :[يعيد السؤال] هل أنت مقتنع بالقانون اللى بتطبقه وإلا لأ؟! قول.. قول.. انطق.

رحمى :[فى ارتباك]: معرفش. [ضحك]

كوثر :[فى زى ممثل الاتهام يصرخ]: المتهم مش عارف حاجة دلوقت، ومع ذلك ساعة ما كان هنا على هذه المنصة.. كان يعرف جيدًا.. كان يعرف لدرجة اليقين والزهو والاعتداد والثقة.. كان يعرف لدرجة لا تقبل استئنافًا أو مراجعة.. كان يشنق متهمًا بعد الآخر وكأنه يلهو بسلسلة مفاتيحه.

القاضى :[يعود إلى سؤال المتهم]: وإذا كنت مش عارف على حد قولك إزاى كنت بتوضع حيثيات أحكامك.

رحمى : [فى ارتباك]: أنا كنت باوضع حيثيات لأن المتبع إن كل حكم كانت تسبقه حيثيات.. العرف كان كده.

قاضى شمال : وفين دورك «كقاضى».. إذا كان كل عملك هو مجاراة العرف بدون عقل.. وبدون إدراك؟

رحمى : معرفش.

قاضى يمين: هل أنت مدرك أن التنصل من أفعالك لن يجديك.

رحمى : معرفش.

المحامى : [يقاطع]: بعد إذن القاضى.. أرجو لفت النظر إلى أن موكلى فى حالة عقلية غير طبيعية.

كوثر : [ممثل الاتهام يصرخ]: أرجو لفت نظر الدفاع إلى أن المتهم يتستر وراء ادعاء بعدم الكفاية العقلية.. وعلى المحكمة ألا تسمح بهذا التلاعب.. إن هذا التلاعب معناه تلاعب بالعدالة.. وسخرية بهيئة المحكمة الموقرة التى تمثل هذه العدالة.

القاضى : [يدق على المنصة بشاكوش خشب]: الكلام فى مسألة الكفاية العقلية حا يخرجنا من الموضوع فضلا عن أن البت فى هذه المسألة من اختصاص الطبيب الشرعى.. فنرجو حصر استجوابنا اليوم فى الوقائع.. خلينا فى الوقائع من فضلكم.

[رحمى يرفع أصبعه طالبًا الكلام]

رحمى : [فى ارتباك]: أنا عاوز أقول..

القاضى : اتفضل.. عاوز تقول إيه؟

رحمى : أنا وقت إصدارى أحكام الإعدام كنت أعتقد أن أحكام الإعدام حاتوضع حد لحياة أصحابها فتريحهم وتريحنا.

قاضى يمين: وأنت كنت عايز تخلص منهم ليه.. كانوا تاعبينك فى إيه؟
[ضحك]

رحمى : أنا ماكنتش عايز اتخلص منهم.. أنا ماليش مصلحة.. المجتمع هو صاحب المصلحة.

القاضى : إزاى بقى فَهِّمْنِى؟

رحمى : المجتمع هو صاحب المصلحة.. حاتبقى فيه عدالة وكل واحد حايشعر بالاطمئنان لأن كل مجرم يقتص منه.
[ضحك من الجميع]

القاضى : يعنى الحكاية حكاية انتقام وأنت ممثل الانتقام فى المجتمع.. عضك الكلب تجرى وراه وتعضه.. تبقى كلب زيه [ضحك] هل تعلم أن العدالة حينما تنزل إلى مستوى المجرم وتتبنى أساليبه تنحط بنفسها وتفقد معناها الرفيع وتصبح مجرمة مثله سواء بسواء.

رحمى : العرف الاجتماعى كان كده.. وأنا مش عايش لوحدى.. أنا عايش فى رأى عام.

قاضى الشمال: لكن أنت طليعة هذا الرأى العام ويوم ما حاتمشى

الطلائع فى المؤخرة يبقى على الدنيا السلام.

رحمى :العدالة نسبية دايمًا ومرتبطة بعصرها.

قاضى اليمين: بتقول العدالة نسبية.. طيب ليه تقطع قطع مطلق فى مصير إنسان وتعدمه «إعدام نهائى»؟

رحمى :حا اعمل إيه؟

القاضى :حطه فى الطور.. استفيد بيه يقطع حجارة.

رحمى :والرأى العام..

القاضى :الرأى العام حايمشى وراك.. وأنت القدوة.. مين بيحط الذوق القانونى للناس؟

عضو اليمين: .. مين؟

رحمى :[فى ارتباك]: مين؟

القاضى :رجل القانون اللى عنده ضمير.

رحمى :[يلتفت حوله باحثًا]: فين هو ده.. أنا عمرى ما شفته..

[ضجة وهمهمة فى القاعة]

كوثر :[ممثل الاتهام]: نلفت نظر المحكمة إلى أن جريمة المتهم أكبر من مجرد سوء فهم لنصوص القانون.. ذلك الرجل كان يصدر أحكامه بدافع من الكراهية والحقد لا بدافع من الحرص على العدالة.. إن هذا الرجل الخسيس يكره الإنسان فى أعماق ضميره.

المحامى :أنا لا أفهم معنى لترديد هذه التهم الجزافية أمثال هذا الرجل يكره الإنسان.. هذا الرجل عدو العدالة.. يعنى

إيه.. دى كلمات مطاطة وتهم مائعة.. ممكن تقال لكل واحد.. أنا عايز وقائع .. وقائع.

كوثر :[ممثل الاتهام يتجه إلى المتهم بقسوة]: أنا أطلب من المتهم الاعتراف بصراحة بحقيقة الكراهية التى تسود بيته.. بحقيقة العداء والحقد الذى يخيم على حياته..

رحمى :[فى ذعر]: دى مشاعر خاصة.. وليس من حق المحكمة أن تنتهك المشاعر الخاصة لأى إنسان.

القاضى :الكلام ده تقوله فى محاكمكم.. المحكمة دى شأنها الأول واختصاصها.. وقائع الشعور.. وقائع الضمير.. احنا هنا بنفتش عن الحقيقة جوا القلب.. ماتهمناش الأحراز اللى يظبطها البوليس فى دولاب المتهم.. احنا هنا غايتنا التفتيش جوه قلبك.. جوا ضميرك.. جوا روحك.

رحمى :[يشعر بشعور رجل مأمور بأن يخلع عريانا.. يصرخ فى رعب.. وفى صوت باك]: مش معقول.. دا ظلم.. حرام.. حرام.. ربنا ما يرضاش بكده.. ربنا ما يرضاش بكده.
[ينهار داخل قفصه]

القاضى :تستطيع أن توفر على نفسك مهانة التفتيش بأنك تعترف.

رحمى :[ينهار فى قفصه يتلوى من الألم]: مش معقول.. حرام.

كوثر :[ممثل الاتهام]: وهكذا ترون يا حضرات المستشارين

كيف يتلوى المتهم من العار والخزى حينما يستشعر بأن الكراهية الزرقاء التى يطفح بها قلبه توشك أن تنكشف.. إنه لا يجد الجرأة لأن يراها بنفسه.. لا يستطيع أن يفتح عينيه على بشاعة حقيقته.

رحمى :[بصوت باك]: مش معقول.. حرام.. حرام.. مش معقول يطلب من إنسان أن يعرض نفسه عريان بدون ملابس.. بدون جلد.. بدون لحم.. حرام.

ممثل الاتهام: [بقسوة]: للمرة الأخيرة أطلب من المتهم الاعتراف بحقيقة الكراهية التى يخفيها.. بحقيقة الشك والغيرة والحسد والبغض والحقد.

رحمى :[يصرخ وهو يبكى]: حرام.. [يصرخ مستنجدًا] أمى .. أمى.. أمى.

ممثل الاتهام: [بقسوة]: وها هو قد عاد طفلا ينادى على أمه..

رحمى :[يصرخ وهو مازال يبكى وينتفض]: أمى.. أمى!

[ينفتح الباب وتدخل أم رحمى الغرفة - تتلفت باحثة عن ابنها - من الواضح أنها لا ترى هذه المحاكمة ولا تلقى بالا إلى أحد من الموجودين فيها - وإنما تسرع إلى ابنها وتحتضنه].

رحمى :أمى.. أنت فين يا أمى.. [يشاور لها على المحكمة والمنصة والقضاة والمحامى والحاجب.. ولكنها تتبع إصبعه ولا ترى شيئًا].

أم رحمى :إيه يا ابنى.. فيه إيه.. بتشاور على إيه؟

رحمى : على الناس دول.. مش شايفاهم يا أمى؟

أم رحمى : ناس مين يا بنى.. مافيش حد غيرنا.. مالك يا حبيبى بسم الله الرحمن الرحيم.

[القضاة والمحامى والحاجب وممثل الاتهام مازالوا يحملقون فى رحمى.. الضوء الشديد قد انتقل إلى وجه الأم والابن وباقى المحكمة فى ضوء خافت].

رحمى : مش شايفة الناس دول؟!

الأم : أبدًا يا حبيبى مفيش حد.. أنت لازم بيتهيأ لك.

[رحمى فى تلك اللحظة يكون جالسًا على باب قفصه يتحسس القضبان.. ويحاول أن يتصور أنها قضبان وهمية فى قفص وهمى لا وجود له كل ما يحدث فيه حلم فى حلم.. وهو لا يستطيع أن يصارح أمه بحقيقة مشاعره.. ولكنه يتشبث بها.. ويتعلق بها كالطفل الرضيع].

كوثر : [ممثل الاتهام يشير بإصبعه فى سخرية]: لقد عاد الرجل السفاح طفلا يحبو على صدر أمه.

[رحمى يسد أذنيه حتى لا يسمع.. ويخفى رأسه فى كفه حتى لا يرى].

الأم : وإيه اللى مقعدك على الأرض كده يابنى؟

[رحمى مازال يسد أذنيه حتى لا يسمع ولا يرى.. ويرفع رأسه أخيرا ويمسك بأمه هاتفًا].

رحمى : أمى.. ربنا موجود فى الدنيا يا أمى؟

الأم : طبعًا يابنى ربنا موجود فى كل الوجود.. وهو أرحم الراحمين.

رحمى : طيب ليه مش بيرحمنى [يضع رأسه على صدرها ويبكى] ليه مش بيرحمنى؟

« ستار»

الفصل الثانى

: [رحمى فى غرفة مكتبه يروح ويجىء فى خطوات سريعة قلقة وهو يعصر رأسه بيده.. توفيق واقف بالباب]

توفيق : أنت جرى لك إيه يا رحمى.. أنت عملت إيه فى مراتك؟

رحمى : [يرفع رأسه]: هى راحت لك؟

توفيق : [مقبلا عليه]: أنت جرى لعقلك إيه؟

رحمى : [فى نغمة ذات معنى]: هى راحت لك زى كل مرة [يمسك به ويهزه] قالت لك إيه.. قل لى.. قالت لك إيه [فى لهفة وقلق] وراحت لك ليه؟! وليه كل مرة ماتلاقيش غيرك تروح له.. هى متجوزاك والا متجوزانى؟! أنا عارف اللى بينكم.. أنا عارف..

توفيق : أنت حاتخلينى أصدق اللى بيقولوه الناس.. حتخلينى أقولك إنك اتجننت.

رحمى : أنا متجننتش.. أنا عارف إنك بتحبها وإنها بتحبك.. أنا عايش بتفرج عليكم طول السنين دى.

توفيق : رحمى!!

رحمى : ليه راحت لك.. قل لى..

توفيق :عشان مش لاقياك.. عشان مش لاقية حد تكلمه.

رحمى :وأنت الوحيد اللى بتلاقيك.. أنت الوحيد اللى بتقدر تكلمه.. أنت .. أنت.. دايمًا.. وأنا.. أنا فين؟

توفيق :أنت عمرك ما حاولت تفهمها.. عمرك ما قعدت معاها قد ما بتقعد مع دوسيه مرمى على مكتبك.

رحمى :[وهو يصرخ ويشير بإصبعه فى استنكار]: أنت توفيق اللى بتقول الكلام ده؟

توفيق :أنت غلطان يا رحمى ولازم أقولك على الحقيقة.

رحمى :[يصرخ]: وليه متقوليش على الحقيقة كلها.. ليه ماتقولش إنك بتحبها.. وإنك حرضتها.. وأغويتها.

توفيق :[فى كبرياء]: رحمى..

رحمى :أأتمنتك على بيتى.. سلمتك حياتى ووثقت بيك [فى يأس] والنهاية..

توفيق :رحمى أنت اتجننت.

رحمى :أنا عقلت.. فتحت.. أنا شفت كل حاجة على حقيقتها [ينظر إليه فى غل] لكن مش حاسيبها لك لقمة سهلة دى مراتى.. ملكى.. حاجيبها غصب عنها بالقانون.. حطلبها فى الطاعة.

توفيق :أنت بقالك عشرين سنة مقعدها معاك بالقانون.. بتحاول تمتلكها بالقانون.. عملت إيه بالقانون بتاعك يا مجنون..

رحمى :طبعًا.. القانون عند واحد زيك جنون.. واحد زيك بيدخل بيوت الناس عشان يسرقها.

توفيق :[فى كبرياء مجروح]: أنا مش حا ادافع عن نفسى.. مش حاقولك أد إيه أنت غلطت فى حقى لأنك غلطت فى حق نفسك أكتر.. حرمت نفسك من أكبر نعمة فى الدنيا.. من نعمة الحب.. وبنيت حياتك على وهم اسمه القانون.

رحمى :الحب.. عملتوا إيه أنتو بالحب؟! كذبتوا علينا باسم الحب.. صورتوا لنا وهم أكبر من كل وهم.

توفيق :[فى إشفاق]: وأنت عملت إيه بالقانون؟! فى النهاية بتشك فى القانون.. وتشك فى الناس.. وتشك فى الحياة.

رحمى :[ينفجر]: لأنى عرفت اليأس.. علمتونى اليأس.. علمتونى أنى أكره [يصرخ] أكره أكره.. كرهت نفسى.. كرهت حياتى.. كرهت الدنيا.. السنين الطويلة وأنتو قاعدين تبصوا لبعض وأنا باتفرج [يغطى عينيه].

توفيق :مش معقول.. مش قادر أصدق أن خيالك المجنون يصور لك كل ده.. [يقترب منه فى إشفاق].

رحمى :كنت عايز أهرب من الدنيا.. وأعيش فى منفى «وحيد» ماشفش حد.. كنت عايز أنزل فى جب تحت الأرض واستخبا.. [يهزه فى غل] كنت.. عايز أقتلك.. وأقتلها.. وأقتل نفسى.. [يتركه ويسرح لحظة] وبعدين بقيت أقول لنفسى.. وأقتلها ليه؟! وليه أحرك إيدى وأتحمس لأى

عمل ؟! وليه أغضب ؟! وليه أثور ومفيش حاجة تستحق أن أغضب وأثور ؟! كل شيء بيجيله ساعة وينتهى.. كل شيء بيموت.. أنت حاتموت وحبك حايموت وهى حاتموت.. وأنا حاموت.. إيه الداعى للعجلة.. السم فى الكأس اللى بنشربه كلنا.

توفيق :دلوقت عرفت قد إيه كوثر اتعذبت معاك ؟

رحمى :أنا اللى اتعذبت.. وأنتم اللى عذبتونى لأنكم عيشتونى فى كذبة.. كذبة طويلة.. مالهاش نهاية.. أنا كنت عايش فى كذبة.. أنت معاك حق.. كل شيء اتهدم قدام عينيا.. كل شيء أصبح مشكوك فيه.. [تأخذه نوبة جنون] كل الدوسيهات دى كذب فى كذب [يبعثر الدوسيهات من على المكتب ويمزقها واحدًا بعد الآخر] كل الأحكام دى كذب.. مفيش قانون.. مفيش عقل.. مفيش نظام.. مفيش حرمة لأى شيء.. اللى بيقتل فيه قانون يعاقبه.. لكن اللى بيحب ويقتل واللى بيحب وينقتل مفيش مواد تطبق عليه.. اللى بيحب ويخرب قلوب ويهدم عقول وبيوت مفيش نصوص تعاقبه.. الحب ؟ هو إيه عايز أفهم.. تقدر تفهمنى يعنى إيه الحب ؟! إيه هو التكييف القانونى لكلمة الحب ؟

توفيق :رحمى..

رحمى :أنا رجل قانون.. أنا مش شاعر. [يبدو فى عينيه الجنون]

توفيق :رحمى..

رحمى :[وهو يتذكر]: يبقى كلامهم فى محله.

توفيق :هما مين؟

رحمى :هما اللى بيقولوا إن احنا لازم نكتب القانون من جديد.. نكتبه كلمة كلمة من جديد.

توفيق :هما مين اللى بيقولوا كده؟

رحمى :اللى بيعذبونى.. اللى حطوا إيديا فى الحديد.. المجرمين.

توفيق :رحمى..

رحمى :لكن أنا برىء.. برىء أنا ماليش ذنب.

توفيق :أنت بتتخيل حاجات مالهاش لزوم يا رحمى.. ما فيش أى حاجة بينى وبين مراتك أقسم لك.. أقسم لك.

رحمى :كذب.. كذب.. كل شىء كذب.

توفيق :[يهزه]: فوق لنفسك يا رحمى.. أنت عايش فى وهم.. أنت ظلمت نفسك وظلمتنا معاك.

رحمى :أنا ماظلمتش حد.. أنا متهم زيى زيكو.. فى إيدى الحديد أهوه [يلوح بيديه كأنهما مغلولتان].

توفيق :حديد إيه؟

رحمى :حاقولك إيه مش ممكن تقدر تفهم.. أنت معذور أنا كنت زيك وأنا قاعد أحكم على المتهمين من فوق منصة القاضى.. عمرى ما قدرت أفهم لكن دلوقتى وأنا فى القفص.. فهمت [يطرق إلى الأرض مردفًا] فهمت..

توفيق :فهمت إيه وقفص إيه؟

رحمى :بعدين حاقولك.. بعد الجلسة.. لما ينطقوا بالحكم.. حاقولك كل حاجة.

توفيق :جلسة إيه.. وحكم إيه.. [يشيح بيديه فى يأس وقد آمن أخيرًا أنه يواجه رجلا مجنونا] يبقى هى كان عندها حق.. كانت عايشة وحيدة طول عمرها فعلا [ينظر إلى رحمى ثم يتجه إلى باب الخروج].

رحمى :رايح فين يا توفيق؟

توفيق :[فى يأس]: حاستنى بره على ما تخلص الجلسة. [يخرج]. [تسمع خطواته وهى تبتعد رويدا رويدا.. رحمى يروح ويجىء فى غرفته.. ويبدأ الحديث مع نفسه هامسًا ثم يرتفع صوته تدريجيًا حتى يصيح صياحًا معولا].

رحمى :[فى همس]: كانت عايشة طول عمرها وحيدة جدا.. وأنا أنا.. [يتجه إلى الجدار] أنا اللى كنت بخبط على الجدران محدش بيسمعنى [يخبط على الجدار بكلتا يديه فى جنون مغمغمًا فى صوت معول] قلبى اللى كان بيخبط فوق ضلوعى.. محدش بيرد عليه.. حتى دموعى كانت بتتحجر ما تسعفنيش.. حتى لسانى الأخرس مكانش بيلاقى الكلام اللى يقوله.. أنا القاضى الأنانى.. [يخبط على الجدار] الحنان كان بيطلع منى قسوة.. الحب كان بيطلع منى كراهية.. كنت زى الطفل اللى عنده عاهة فى الكلام.. مكنتش

*

باعرف أتكلم.. كنت وحيد وحدة الجنون.. كنت باصرخ.

[يخبط على الجدار وهو يصرخ.. يجيء صوت أمه متهدجًا حزينًا من الخارج.. تدخل الأم من اليمين].

الأم : مالك يا بنى.

رحمى : محدش كان بيسمعنى غير أمى.

[أم رحمى تفتح وتدخل تحمل سجادة الصلاة تحت إبطها].

الأم : مالك يابنى عايز إيه ؟! [تدخل عليه فى حنان وتحتضنه ويحيطها بذراعيه].

الأم : مالك ؟

رحمى : عايزك تدعيلى يا أمى.. عايزك تدعى لابنك الغلبان.

الأم : ربنا يجعل لك فى كل خطوة سلامة يابنى.. ربنا يقدم لك الطيب.. ويوقف لك ولاد الحلال.

رحمى : مابقاش فيه ولاد حلال يا أمى.

الأم : ولاد الحلال كتير يابنى.. الخير لسه فى الدنيا.

رحمى : فين الخير سكته منين ؟

الأم : سكته سكة المؤمنين يابنى.. ربنا بينور للمؤمنين طريقهم.. وقلب المؤمن دليله وكل المؤمنين على نور.

رحمى : [فى يأس]: المؤمنين !!

[ترجع الأم بوجهها إلى الصالة].

الأم : أنا فى كل صلاة بادعيلك يابنى.

[تذهب إلى ركن فى المسرح وتبسط سجادتها] بادعى لك أن ربنا يفتح لك الباب. [تبدأ فى الصلاة فلا تسمع صلاتها ولكننا نرى تمتمة شفتيها وحركات يديها والأنوار الكاشفة تتجمع لتضىء جسمها وهى تصلى فى حين يغرق باقى المسرح فى الظلمة.. ونسمع صوت رحمى].

رحمى :وامتى حاينفتح الباب؟

[تخفت الأنوار الكاشفة على الأم ثم تنطفئ فى حين تضىء بقعة على الأرض أمام رحمى حيث تنشق الأرض وتخرج كوثر فى ثياب نوم هفهافة تكشف صدرها وذراعيها وعلى كتفها وشاح رقيق شفاف يطير كأنه جناحان.. يتهدل شعرها المصفف فى أناقة.. البدرة والأحمر والروج والكحل فى تواليت كامل على وجهها المضىء الحلو.. تبدو شبيهة بتفاحة آدم].

رحمى :[يشهق فى انفعال]: كوثر!!

[يتقدم رحمى محاولا الإمساك بكوثر ويلف حولها ويده على كتفها اليمنى - بعد انتهاء الحركة تضحك كوثر - يتركها رحمى. لا تبدو كوثر أنها تسمعه.. وإنما هى تتطلع بعينيها إلى آفاق بعيدة وترفرف بذراعيها كأنها تطير].

رحمى :[فى انفعال أشد]: كوثر!! [يمد يده حتى يلمس وشاحها ثم يصرخ] كوثر! [يحدث نفسه فى يأس] مش بتسمعنى [بنغمة باكية] مش بتسمعنى عينيها سرحانين.. بتضحك [ينزل رحمى من أمام المكتب فترفع كوثر يدها إلى أعلى فيتقدم رحمى

ويجذبها من يدها] بتضحك لمين.. بتفكر فى مين.. مادة إيديها الاتنين لمين.. مش لى.. دى مش شايفانى.. مادة إيديها لواحد تانى [تتقدم كوثر بحركة راقصة تحتضن شيئًا ما].. له هو.. للسارق اللى سرقها منى [فى ألم وهو ينطق بالاسم] توفيق.

كوثر :[تهتف فى حنان]: توفيق!

[تستدير كوثر.. يتراجع رحمى فى ذعر.. يتلفت حوله كأنه يتوقع أن يظهر توفيق ولكن لا أحد هناك سواه هو وكوثر]

كوثر :[فى حنان أكثر وهى تمد يدها.. وينزل رحمى إلى كوثر ويحتضنها ويلف بها]: توفيق.. حبيبى [تركع كوثر] أنا ماليش حد غيرك فى الدنيا أنا انتهيت.. أنا مابقليش بيت أعيش فيه.. أنا عايشة مع راجل مجنون.. مجنون.. رحمى اتجنن يا توفيق.. كان حايقتلنى.. فقد عقله خلاص.

رحمى :[فى استنكار]: مش ممكن.. مش ممكن [يتركها رحمى] دى جريمة.. حرام.. حرام.. ده غلط.

كوثر :[تكلمه كأنه توفيق]: الحياة كلها غلط فى غلط.. أنا بقالى عشرين سنة عايشة فى الغلط.. لو كنت بتحبنى مكنتش فكرت فى الصح ولا فى الغلط.. وماكنتش حتى عرفت الصح من الغلط [تقف كوثر وتحتضن رحمى وتلف به] أنت ماجربتش الحب واليأس يا توفيق.

رحمى :[فى استنكار]: لكن ده جنون!

كوثر :[ترجع بظهرها]: أرجوك سبنى أتجنن.. من حقى أنى أتجنن بعد كل اللى شفته [تقبل يد رحمى فى ذلة وكأنه توفيق] الجنون هو أملى الوحيد فى الحياة.

رحمى :[فى ألم شنيع]: لكن فيه واحد بيتعذب.. فيه واحد بيتعذب بينكم.

كوثر :[تتخطى المسرح]: مفيش حد بيتعذب غيرى.. هو استريح.. فقد عقله.. قطع صلته بكل العالم.. معدش دارى بحاجة.. أنا اللى عايشة باشوف موتى البطىء بعينيه.

رحمى :كوثر! [موسيقى].

كوثر :توفيق.. حبيبى أنت آخر أمل لى [تنظر إلى رحمى بانفعال بالغ.. تلقى بنفسها بين ذراعيه.. تدفن رأسها فى صدره.. لحظة صمت.. تبكى كالطفلة على صدره وتغمغم فى حرارة] يا حبيبى.. يا حبيبى [تصعد كوثر مع حركة يده حتى تصبح فى مواجهته وتنام على رجليه].

[موسيقى راقصة حالمة]

[ترفع رأسها من بين ذراعيه.. تتلفت حولها وهى نشوانة.. تنفلت منه فى رقة.. تأخذ فى التجوال وحدها بين قطع الأثاث تتفحصها حالمة.. يظهر من كلامها أنها تتخيل أنها فى بيت توفيق.. وتتأمل قطع الأثاث فيه]

كوثر :طول عمرى كنت باتخيل البيت اللى أنت عايش فيه..

والأودة اللى بتنام فيها [تضحك كوثر وتنفلت منه حتى تصل أمام المكتب وتركع وتمسك بأحد الكراسى] كل كرسى من دول كنت بانفضه كل يوم فى خيالى [تلمس الأثاث] العفش ده أصبح عفشى من كتر ما فكرت فيه.. أنت مالكش حاجة هنا.. كل حاجة هنا بتاعتى.. أنا اللى تعبت فيها.. [تذهب إلى الشماعة] الشماعة دى كنت دايمًا باحلم بيها وكنت أول ما أخش أدور عليها علشان أعلق الشال بتاعى [تمد يدها فى آلية وتخلع الشال الذى تلبسه وتعلقه على الشماعة.. قميص النوم نصف العريان يكشف الآن مفاتن جسمها الناضج الأنثوى.. دائرة من الضوء تلاحقها فى كل تحركاتها وتضىء جسمها المغرى.. تقف وسط الغرفة تتلفت كالطفلة] بيتهيأ لى وأنا واقفة دلوقتى أن كل العمر اللى فات ما كانش حقيقى [موسيقى] بيتهيأ لى إنى كنت نعسانة وبفتح عينى لأول مرة.. وأنى حقوم ألبس فوطة المطبخ وأروح وأجهز لك الأكل.. مش معقول أنا هنا من ربع ساعة بس.. أنا هنا من يوم ما اتولدت [تنظر إلى رحمى فى شغف وتهمس فى حرارة] توفيق.. [تهرع إليه وتلقى بنفسها على صدره].

رحمى : [يصرخ وهو يبعدها فى ذعر]: مش معقول.. أنت مش شايفة.. أنت مش شايفة..

كوثر : [تعود لتحتضنه]: أنا مش شايفة أى أحد غيرك ياحبيبى..

[رحمى يمسكها من عنقها]

رحمى :أنت مجنونة.

[تحتضنه كوثر وتلف به]

كوثر :أنا مجنونة.. وعايزة أعيش مجنونة على طول.. أرجوك بلاش تعقلنى.. أرجوك.

رحمى :[يبعدها فى خشونة]: لكن ده فظيع [فى صراخ] فظيع [ينهار على أحد الكراسى - النور على كوثر بينما هو فى الظلام] وأنا - وأنا - ماليش وجود؟؟ [يتحسس جسده] أنا!

كوثر :[تتحسسه فى حنان]: توفيق!

رحمى :[يصرخ]: أنا مش توفيق.. أنا مش توفيق.. أنا رحمى اللى بيكلمك.. رحمى [يصرخ] رحمى.. رحمى.

كوثر :توفيق..

رحمى :ده جنون.. جنون.. [ويهجم عليها]

كوثر :[مازالت تهمس]: توفيق.. توفيق.

رحمى :[يكممها بيديه فى خشونة ويكتم نفسها]: اسكتى.. اسكتى.. أنا باكره صوتك.. باكرهك.. باكرهك.. باكرهك.. وحاقتلك.. وحاقتلك..

[يخف الضوء تدريجيًا من على كوثر.. ونراها تنزل فى شق الأرض وتختفى فى حين يلمع الضوء على رحمى الذى يقف مشدوهًا يكمم بيديه الهواء ويتمتم كالمصعوق وهو يتلفت حوله وينادى]

رحمى :كوثر.. كوثر [فى يأس وصوته باكٍ - تظهر الأم من اليمين]

كوثر.. أنت فين.. رحتى فين.. رحتى فين.. أنا.. أنا.. أنا قلت إيه.. أنا قلت إنى باكرهك.. دايمًا باقول إنى باكرهك لكن أنا [يبكى] أنا باحبك.. ليه مابعرفشى أقولها إلا فى السر.. كوثر.. كوثر.. مدى لى إيدك.. أنا باغرق فى عالم كله ضلمة.. ضلمة.. حموت وحيد.. يتيم من غير أمل.. حاموت من غير ما أقولك اللى فى قلبى.

[موسيقى جنائزية.. الأضواء الكاشفة تضىء الأم وهى تصلى وترفع يدها بالدعاء وتحرك شفتيها ونحن لا نسمع صوتها ولكننا نرى وجهها الهادئ المطمئن ويديها المرفوعتين بالعبادة وشفتيها المرتعشتين بالصلاة.. رحمى يتجه نحوها وينظر إلى وجهها الهادئ فى دهشة ويقول بحسرة].

رحمى : ليه ما باقدرش أصلى زى أمى ما بتصلى.. أمى وجهها هادئ.. هادئ.. حاتقابل الموت بوجه هادئ.. وأنا بأقابل الحياة وأنا أرتجف.. بشوفها والبيت فاضى عليها زى الخرابة وهى قاعدة لوحدها تقول لى.. الدنيا ونس يا بنى.. بادور فى البيت.. فين الونس؟! بيتهيأ لى فيه ناس قاعدين معاها بيونسوها ما بلاقيش حد [ينظر إليها وهى تتمتم بشفتيها] مجنونة.. مجنونة.. بتكلم نفسها.. بتكلم مين دلوقت [بصوت مرتفع وبدهشة] بتكلمى مين يا أمى [يصرخ مرتاعًا] مين معانا.. مين معانا.

رحمى : [وهو يتلفت حوله فى الغرفة الخالية]: احنا لوحدنا لوحدنا..

مافيش حد معانا.. أنا هنا فى الأودة لوحدى مافيش حد معايا [موسيقى تصويرية].

[صوت الموسيقى يرتفع رويدًا رويدًا حتى يصبح ضجيجًا يصك الآذان ثم يسكت دفعة واحدة حين يلوح رحمى بيديه فى يأس ليسكت ذلك الضجيج المدوى بداخله.. تلى ذلك موسيقى رقيقة حزينة.. ناى.. باكٍ معول]

رحمى :[فى شرود]: من زمان واحنا هنا لوحدنا.. بنسلى بعض بالحكايات ونصبر بعض بالأمانى الحلوة.. ونضحك.

[ضحكات مسجلة على شريط ركوردر تبدأ واضحة ثم تدار بسرعة على الخلفية الموسيقية للناى الحزين فتبدو ضحكات كاريكاتورية عجيبة].

بنضحك على إيه؟!

بنعيش فى الخوف..

خايفين من إيه؟! [يذهب ناحية الباب ويضع أذنه على الباب].

فيه حد بيتجسس علينا..

فيه حد حاطط ودنه على خرم الباب..

فيه حد حاطط ودنه على قلوبنا..

بيسمع دبة النملة جوا قلوبنا..

رحمى :[بصوت كله أسى]: مفضوحين مفضوحين.

أمى كانت دايمًا بتدعيلنا بالستر.. فين الستر.. احنا مفضوحين.. دى مش حياة [يصرخ] دى فضيحة.. أودى وشى فين؟

نفسى فى لحظة حلوة أعيشها فى السر من ورا كل الدنيا.. بعيد عن نور النهار..
لحظة واحدة أعيشها من غير بطاقة شخصية.. من غير اسم.. من غير عنوان.. من غير نمرة فى الدليل.. من غير دوسيه.. لحظة أحب فيها وأكره من غير عينين واسعين يفضحونى.
لحظة أتكلم فيها من غير واحد تانى على الخط بيسمعنى.
لحظة واحدة أعيشها من غير خوف.. الخوف فظيع.. فظيع.
ساعات الانتظار طويلة.
انتظار النهاية..
أنا تعبت من الانتظار..
عايز أعرف إيه النهاية..
إيه نهاية ده كله..
مش قادر أتعذب أكتر من كده.. مش قادر أنتظر [تجحظ عيناه ويهمس بصوت مبحوح]: حستعجل النهاية.. مش حانتظر ولا لحظة بعد كده.
[يفتح أحد أدراج المكتب فى عجلة وارتباك وهو يتلفت حوله ويخرج مسدسًا ملفوفًا فى قطعة قماش يقلب المسدس] أخيرا [يقلبه أمام عينيه فى فرح حيوانى.. يفتح المسدس.. ويخرج الرصاصات ويتأكد منها ثم يعيدها إلى مكانها.. يداه ترتجفان.. عيناه جاحظتان.. يضع المسدس على صدغه]

طلقة واحدة وأخرج منها خروجًا أبديًا [تتسع عيناه من الذعر] لكن حاخرج أروح فين [يعيد المسدس إلى مكانه بالدرج وهو مازال يرتجف ويهمس] حاخرج أروح.. أروح فين.. مين رجع بعد الموت يقول لنا راح فين؟
مفيش فايدة.. مفيش حل.. لازم حاقعد هنا للآخر.. لآخر الجلسة.. لآخر المحكمة.. لآخر ورقة فى ملف التحقيق [يلقى برأسه على المكتب فى استسلام واسترخاء ويغمض عينيه].

[يخفت الضوء على المسرح رويدًا رويدًا.. ونسمع صوتًا يهتف (محكمة).. وتنشق أرض الغرفة لتخرج منها هيئة المحكمة التى رأيناها فى الفصل الأول بنفس ملابس السجن التى ظهرت بها.. تظهر كل شخصية منها فى هالة من الضوء التام]

الحاجب :[ينادى]: رحمى سعودى [لا أحد يجيب.. يعود إلى المناداة بصوت عصبى حاد يصك الأسماع]: المتهم رحمى سعودى..

رحمى :[يرفع رأسه ويجيب فى تبجح وعصبية]: مش موجود.. [يصرخ فى تحدٍّ] مش موجود: [كل أعضاء المحكمة يشيرون بأصابعهم إليه.. يتقدم الحاجب ويمسك به من كتفه ويسحبه إلى قفص الاتهام حيث يلقى به].

كوثر :[فى زى ممثل الاتهام.. يتركز عليها النور ويخفت على الوجوه الأخرى]: المتهم ينكر نفسه.. المتهم وصل به الإجرام إنه ينكر وجوده.

رحمى [يهب واقفا فى تحدٍّ]: أنا حر فى إنكار ما لايعجبنى.. [يضحك المستشارون.. ويتمايل كل واحد على الآخر وهو يضحك وتنتقل ضحكاتهم حتى تشمل هيئة المحكمة كلهم]

القاضى الشرقاوى: حر..؟ [يضحك] حر ازاى بقى.. أمال القفص ده إيه؟

رحمى :أنا أنكر شرعية المحاكمة دى كلها.

الشرقاوى :تنكرها بصفتك إيه؟

رحمى :بصفتى رجل قانون.

[يعود المستشارون إلى الضحك]

الشرقاوى :[فى سخرية]: رجل قانون [يضحك] أنت مجرم يابنى.. أنت معتقل.. أنت مطلوب إعدامك.

رحمى :[فى حدة]: أنا متنازل عن الحياة اللى عايزين تعدموها.. مش عايزها خدوها.. أنا شايف أنها ما تساويش حتى أجرة الدفاع عنها.. ما فيش لازمة تتعبوا نفسكو فى محاكمة وشهود ومحاضر وجلسات.. أنا متنازل.. ومستعد لرد كل المكاسب اللى كسبتها فى الحياة التافهة دى.. بما فى ذلك العدالة المقدسة اللى بتمثلوها.. [يصرخ] طظ فيكم كلكم، وطظ فى الدنيا بتاعتكم.

[تنفجر المحكمة فى ضحك مجلجل متصل].

رحمى :[يصرخ]: أنا حاموت فى الوقت اللى أنا عايزه.

[الشرقاوى يضحك والمستشارون يضحكون]

رحمى :[يصرخ]: أنا حاموت فى الوقت اللى أنا عايزه.
[يحاول أن يخنق نفسه فى القفص.. يهجم عليه الحاجب].

كوثر :[تملى على كاتب الجلسة بصوت جهورى] جريمة شروع فى قتل.. اكتب عندك فى المضبطة.. المتهم شرع فى قتل نفسه.. وبذلك تصبح عدد جرائمه ١٧ جريمة قتل.

رحمى :[يصرخ باكيا]: أنا حر فى نفسى.. أنا حر فى حياتى.. أنا مش عايز أعيش.. أنتو مالكو.. ده حقى.

الشرقاوى :الحياة من شأن الله وحده هو الذى يعطيها وهو الذى يأخذها.

رحمى :[يسقط على ركبتيه]: يارب ارحمنى.

كوثر :اليوم يسقط المجرم على ركبتيه طالبًا من الله الرحمة.. وبالأمس كان يمشى معتدًا جبارًا لا يرحم.

رحمى :هو أنتو حاتحاسبونى عايزين منى إيه؟

الشرقاوى :عايزين نعلمك العدالة؟

رحمى :أنا استقلت خلاص.. سبت كرسى العدالة.. نفضت إيديا من العدالة.

الشرقاوى :وأفعالك؟ [يكشف عن ذراعيه اللتين مازالتا مقيدتين بالسلاسل ويلوح بهما فى وجه رحمى] نفضت إيدك من أفعالك.. وهل فى إمكانك الاستقالة من أفعالك.. والانفصال عن ماضيك.. والدم اللى سفكته؟

رحمى :[يصيح]: الماضى انتهى خلاص.. أنا استقلت.. أنا على

المعاش.. محدش له عندى حاجة أنا حا ابتدى من جديد.. حافتح صفحة جديدة من حياتى.

الشرقاوى :الماضى ما انتهاش.. الماضى عايش معاك.. الماضى هنا منتظر خارج المحكمة.. تحب نستدعى لك الماضى [يخبط بالشاكوش الخشبى على المنصة ويصيح] الحاجب ينادى على الماضى.

[صدى الصوت يدوى فى أرجاء المحكمة: الحاجب ينادى على الماضى]

الحاجب :[ينادى من ورقة فى يده]: المجنى عليه وديع بشاى.. المجنى عليه جرجس بشاى.. المجنى عليه راغب بشاى [تنشق الأرض ويخرج منها المجنى عليهم بملابس السجن والقيود فى أيديهم.. وحول كل منهم هالة الضوء.. الحاجب يستمر فى استدعاء الأسماء بصوت أكثر شدة] سليم أبو الغيط.. سالم أبوالغيط.. محمد أبوالغيط.. رضوان أبو الغيط [يخرجون من الأرض فى لحظة مناداة أسمائهم] عم بيومى.. أنيسة العالمة.. شفيقة البنهاوية.. أم لواحظ.

[المسرح الآن ممتلئ بالوجوه والأشخاص وكلهم بملابس السجن.. والقيود فى أيديهم.. يشاورون على رحمى ويلغطون].

الشرقاوى :[يدق بشاكوش على المنصة]: سكوت من فضلكو.. إيه رأيك فاكر الوجوه دى؟

رحمى :[مبهوتًا]: جم منين دول.. دنا حكمت عليهم بالإعدام..

شنقتهم كلهم.. إيه اللى جابهم؟ [يصرخ] إيه اللي جابهم؟

الشرقاوى :تقدر تنفض إيدك منهم. [المجنى عليهم يلوحون فى وجه رحمى ويتزايد لغطهم وضجيجهم يرتفع على صوت المحكمة ويصك الآذان].

رحمى :[يصرخ]: سكوت [يسد أذنيه] سكوت..

[يرتفع صوت الضجة.. يختلط بقهقهات السخرية.. وإشارات الاستهزاء].

الشرقاوى :[يدق بشاكوشه فتسكت الأصوات]: خلاص مبقاش لك حكم عليهم دلوقتى.. ماتقدرش تسكتهم دول فى عالم تانى غير خاضع لك.. هما دلوقتى اللى يسكتوك.

رحمى :[ينقل بصره بينهم فى رعب]: دول شياطين.. أشباح.. أرواح شريرة.. أنا حاصدر حكم بإعدامهم تانى..

[كورس من الأصوات يردد فى سخرية: تانى؟!]

رحمى :[يصرخ]: دى مهزلة.. محكمة مشكلة من مجرمين قتلة سفاحين لصوص.. عصابة تتآمر للعبث برجل شريف.

[صفير استهزاء.. ضحك.. كلهم يرددون فى كورس]: شريف جدًّا.. يقتل بستين جنيه فى الشهر.. الراس تقف باتنين جنيه.. بريال فى الجملة.. يا بلاش يا شرف.

رحمى :أنا أطلب القبض على هذه المحكمة المزيفة.. فين البوليس؟

الشرقاوى :مفيش بوليس هنا.. البوليس ده كان عندك فى العالم

بتاعك.. العالم اللى تخليت عنه وتخلى عنك.. أنت دلوقتى لوحدك.. مفيش حد معاك.

رحمى :ربنا معايا..

كورس :عشا الغلابة عليك يارب.

الشرقاوى :ولا ربنا..

رحمى :[يبكى]: ربنا معايا.. أنا إنسان مظلوم.

كورس :الراجل بيعيط زى ولايا السيدة.. حا يشيل مخلة ويسرح على باب الله.

الشرقاوى :ومن امتى كنت بتاخد بالعدل الإلهى.. أنت شنقت دول بعدلك وإلا بالعدل الإلهى.. لما كانوا بيقولوا يارب.. كنت بتعمل فيهم إيه؟

رحمى :دول سفاحين.. مجرمين.. قتلة.. مايعرفوش ربنا.

كورس :عرفت منين؟! دخلت ضميرهم؟

رحمى :أنا كان قدامى أوراق.. دوسيه لكل واحد.

الشرقاوى :أوراق.. أوراق.. ده كل اللى تعرفه عنهم.. كل روح عندك عبارة عن ورقة.. إمضاء.. بلاغ.. هى دى العدالة.. واللى ماعندوش أوراق.. واللى ما يعرفش يكتب.. واللى مالوش محامى.. واللى مالوش شهود.. تعمل فيه إيه؟! عم بيومى اللى مالاقاش شاهد يشهد له.. عملت فيه إيه؟

عم بيومى :[يصرخ من بين المجنى عليهم صرخة مدوية]: إعدام يا بيه

إعدام.. شنقني من غير رحمة ولا رأفة.

رحمي :[يصرخ]: وعاوزني أرأف بقاتل سفاح يحرق ابنه بالجاز ويولع فيه.

عم بيومي :[يصيح]: بريء.. وعهد الله بريء.. ده ابني هو اللي حرق نفسه.

رحمي :كداب.. ده قاتل أثيم.. الأدلة تدمغه.. وابنه اتهمه قبل ما يموت.

الشرقاوي :ننادي على ابنه اللي مات ونسأله.

الحاجب :[ينادي]: أحمد بيومي.. أحمد بيومي.

[تنشق الأرض ويخرج ولد سنه ١٢ سنة]

الشرقاوي :تعالَ يابني.. احك لي.. إيه اللي حصل؟

أحمد :أنا اللي حرقت نفسي.. وقلت إن أبويا هو اللي حرقني.. عشان كان بيضربني.. كان دايمًا بيضربني [يبكي].

الشرقاوي :[إلى رحمي]: هيه.. إيه رأيك؟

رحمي :[في صوتك باكٍ] الولد هو اللي غير أقواله دلوقتي وأنا ذنبي إيه.. وأنا أعمل إيه؟

كورس :يا سلام على العدالة يا سلام [يقلدونه] أنا أعمل إيه.. أنا ذنبي إيه؟

الشرقاوي :وأنيسة العالمة؟

رحمي :أنيسة العالمة قتلت جوزها وهو نايم باعترافها في

التحقيق.. قالت بلسانها إنها خنقته.. فيه إيه بعد كده؟

أنيسة :[تولول بصوت مسرسع]: والنبى يا سعادة البيه كنت ليلتها نايمة وملطوشة بالأفيون ما كنت عارفة باعمل إيه.. واتهيأ لى إن الراجل سابنى واتجوز على.. واتلبشت ما بقيت دارية بنفسى.

رحمى :وما قلتيش الكلام ده ليه فى التحقيق؟

أنيسة :خفت.. قالولى الأفيون حايوديكى فى داهية.. حاتخدى فيه ٢٥ سنة سجن.. ولما فقت لنفسى مالقتش للدنيا طعم من بعد المرحوم [تبكى] كان عندى أموت مشنوقة ولا أطلع براءة وأعيش بحرقته.. كنت بحبه.

رحمى :واحدة مغفلة.. حاعمل لها إيه؟! أنا ذنبى إيه؟

كورس :[يقلدوه]: أنا حاعمل إيه.. أنا ذنبى إيه؟

الشرقاوى :وعيلة أبو الغيط اللى شنقتهم بالجملة؟

رحمى :ودول كمان حد يدافع عنهم.. أربع وحوش اتكاتروا على واحد وقطعوه عشرين حتة وحطوه فى شوال ورموه فى الساقية.. عاوزنا نعمل لهم إيه.. نديهم نيشان؟

[سالم ومحمود ورضوان أبو الغيط يتحدثون فى وقت واحد]

الثلاثة :الحق لله اللى قتل هو سليم أبو الغيط.. ماحد منا مد إيده..

رحمى :واعترفتوا ليه معاه؟

الثلاثة :إلا مالكش حق فى دى يا سعادة البيه.. كله إلا كده دا

احنا عيلة واحدة.. والتار تارنا والعار عارنا.. ومين
حايشيل الدم إلا أصحابه؟! وهيه عيبة هانتبرى منها.. دا
شرف كل واحد يتمنى يطوله.

عيلة أبو الغيط: عدم المؤاخذة يا بيه.. أصل سلو بلدنا كده..

رحمى: أما مجانين صحيح.

الشرقاوى: هيه.. إيه رأيك؟

رحمى: وأنا أعمل إيه.. أعمل إيه.. إذا كان كل واحد بيخبى
الحقيقة.

الشرقاوى: طيب وقضيتى أنا فضل الشرقاوى.

رحمى: ودى فيها إيه كمان قاتل ومعترف ومتلبس.. قتل مع سبق
الإصرار والترصد.. عايز تاخد إيه.. جايزة نوبل؟

الشرقاوى: أيوه لكن قتلت مين؟

رحمى: ميشيل مارديكيان صاحب شونة التسليف.. الراجل اللى
سلفك.

الشرقاوى: بالربا الفاحش.

رحمى: مفيش إثبات..

الشرقاوى: واخد أرضى..

رحمى: لسداد الدين المذكور أعلاه.

الشرقاوى: وقتل أولادى السبعة.

رحمى: بايه؟ بالتنويم المغناطيسى؟

كورس: بالجوع.. بالجوع يا بيه يا متعلم!

رحمى :دا سلاح غير وارد فى المادة ٢٣٤ عقوبات.

الشرقاوى :ده سلاح بيقتل مجتمعات بحالها يا حضرة القاضى العظيم..

رحمى :أنا عايز وقائع.. حيثيات شهود.. اعترافات.. أحراز.. مش كلمة.. عايمة.. زى الجوع.

الشرقاوى :الشهود كانوا قدامك.. فى كل مكان.. فى الحوارى والغيطان عيونهم بتقولك كل حاجة.

رحمى :الشهود فى المحكمة قالوا لى إن ميشيل مارديكيان راجل شريف.

الشرقاوى :كدابين محترفين.. اشتراهم بالفلوس.

رحمى :وأنا ذنبى إيه.. وأنا حاعمل إيه إذا كان كل واحد بيكذب.. وكل واحد بيغير أقواله؟

الشرقاوى :كل واحد فى الدنيا بيغير أقواله.. وكل واحد بيكذب.. وأنت بتكذب.

رحمى :يبقى مفيش فايدة.. يبقى ازاى حانوصل للعدالة؟

الشرقاوى :يبقى إيه لازمة الغرور.. ليه ندور القتل فى الناس؟

رحمى :لازم يكون فيه نظام.

الشرقاوى :اللى عملته هو الفوضى.. منتهى الفوضى.

رحمى :جايز أكون أعدمت عشرة خطأ.. لكن النظام استتب نتيجة الخوف.

الشرقاوى :اللى استتب هو الإجرام.. القتل اللى أصبحت له شركات زى حلبات صراع الثيران.. الحروب العالمية اللى بيتقتل فيها الملايين تحت ستار الوطنية والشرف والعدالة.

رحمى :وأنا مالى.. وأنا اللى باعمل الحروب كمان.

الشرقاوى :اللى بيشعلها واحد زيك.. إنسان متبجح صفيق.. بيقول.. عدالة.. حق.. شرف.. نظام [وفى خشونة] مجرم أثيم لا يكتفى بالإثم.. وإنما يتباهى به.. الخطايا تغتفر.. لكن ما لا يغتفر.. هو وقار الخطايا وعزة الآثام.. هالة الجلال اللى ماشى بيها فوق راسك هيه دى الكدبة الكبرى التى لا تغتفر.

رحمى :انتو ناس مجانين.. عايزين مجتمع من غير قضاة.. من غير نظام.. من غير عدل.

الشرقاوى :إحنا عاوزين نظام تكون فيه الرحمة فوق العدل.

رحمى :طيب ما ترحمونى أنتو [يبكى] ما ترحمونى.. رحمتكم اتسعت لكل المجرمين [يشاور إلى المجنى عليهم] القتلة دول وضاقت بإنسان شريف مظلوم زيى..

الشرقاوى :مظلوم إزاى بقى؟! الأستاذ رحمى المستشار الخطير مائة فدان فى المنوفية ووظيفة درجة أولى بالسلك القضائى.. دكتوراه من فرنسا.. وكلمة مسموعة وهالة من التقديس والاحترام.. ومظلوم؟

رحمى :ده أنا عيان.. أنا مريض بالسكر.. والروماتزم.. وتصلب الشرايين.. والزلال.. والنقرس والكبد.

كورس :[المحكمة تطقطق بالألسنة فى أسف ساخر]: مسكين.. مسكين.. غلبان.

الشرقاوى :[فى أسف ساخر]: لا.. لابأس عليك.. وليه تهمل نفسك كده؟! ليه ماتروحش لدكتور؟

رحمى :مفيش دكتور عارف يعالجنى.. كل دكتور يكشف علىّ يقول لى أنت موهوم بتتخيل أمراض مش موجودة.
[المحكمة مازالت تطقطق بألسنتها فى أسف]

الشرقاوى :حرام.. وليه تتخيل كتير كده؟

كورس :أنت لازم واسع الخيال قوى.

رحمى :أنا إنسان مظلوم.

الشرقاوى :أنت مؤلف مظالم.. مخترع شكاوى.

رحمى :أعمل إيه.. أروح لمين؟

الشرقاوى :روح للمجلس الأعلى للاختراع.. سجل اختراعاتك دى هناك.. حرام تضيع المواهب الخطيرة دى من غير ما تستغلها.

رحمى :أنت بتتريق؟

الشرقاوى :أنا بنصحك لمصلحتك.

رحمى :مصلحتى؟!! فيه حد فى الدنيا بيفكر فى مصلحتى؟

الشرقاوى :[يشاور على المجنى عليهم وعلى نفسه]: كلنا اتشنقنا من أجل

مصلحتك.. عشان ما يتقال عنك القاضى النزيه الحازم..
مش مكفيك احنا كلنا؟

رحمى :أنا كنت بأخدم العدالة.

الشرقاوى :أنت كنت بتخدم نفسك.

رحمى :أنا مظلوم.. ماحدش فاهمني.. الكل خذلونى.. حتى أصدقائى خذلونى.. حتى أهلى خذلونى.

الشرقاوى :أنت أول واحد خذلت نفسك.. الأمراض اللى بتفرى جسمك هيه العقاب اللى أنزلته بنفسك.. أنت حكمت على نفسك بالأحكام اللى حكمت بيها علينا.. الموت.. الموت ببطء..

رحمى :[يصرخ]: لا.. لا..

الشرقاوى :الموت ببطء فى الوهم والوسواس والخوف.

رحمى :الرحمة.. الرحمة..

الشرقاوى :اطلب الرحمة من نفسك.. أنت الجانى.. وأنت المجنى عليه.

رحمى :مش معقول.. [يتحسس نفسه]

الشرقاوى :أنت ألد أعداء نفسك.

رحمى :مش معقول.. ده كابوس.. أنا عايش فى كابوس.. أنتو أشباح.. أرواح شريرة كلكم أبالسة شياطين.. أرواح نجسة.. أرواح مجرمين محكوم عليهم بالإعدام وبالخلود فى جهنم إلى الأبد.

كورس :[ساخرًا]: وأنت معانا فى الخلود بتاعنا.

رحمى :[يصرخ]: أنا مش معاكو.

الشرقاوى :حاتروح فين منّا.. أنت استقلت خلاص ملكش غيرنا.. المحكمة اتقفلت فى وشك.. وبيتك اتخرب حاتروح لمين؟

رحمى :[يتلفت حوله]: حاروح لأمى.

الموجودون :[يرددون فى صوت كئيب]: إنا لله وإنا إليه راجعون.

الشرقاوى :[فى حزن]: أمك توفيت إلى رحمة الله.. البقية فى حياتك.

رحمى :[يعوى من البكاء وينهار فى القفص]: أمى.. [ينادى بصوت معول]: أمى.. أمى..

[سكون تام لا أحد يرد]

الشرقاوى :الله يرحمها.

رحمى :أمى [يبكى] ألاقيكى فين يا أمى؟

الشرقاوى :مش حاتلاقيها خلاص.. راحت العالم الثانى

رحمى :[يتجول ناظرًا حوله]: كوثر.. [يتلفت حوله باحثًا] كوثر.. سبتينى ليه يا كوثر.. خنتينى ليه يا كوثر.. حاموت من غير ما أشوفك.. حاموت من غير ما أقول لك.. أحبك.. طول عمرى كان نفسى أقول لك باحبك.

الشرقاوى :وما قلتش ليه؟

رحمى :[يهز رأسه فى حيرة].

الشرقاوى :[سائلًا]: كبير؟؟

أصوات متعددة: مهم ؟؟ عظيم ؟؟ وقور ؟؟ عاقل ؟؟ أكبر من الحب ؟؟

رحمى :لا أبدًا.. أصغر من الحب..

الشرقاوى :أصغر بكتير.. يدوبك على قد الكراهية.

رحمى :[يتلفت باحثًا مستنجدًا] كوثر.. كوثر.

[تظهر كوثر فى دائرة من الضوء]

كوثر :أنت قتلت كوثر.

رحمى :قتلت نفسى.

كوثر :أنا واحدة من ضحاياك محكوم عليها بالإعدام من غير بنود ومن غير مواد فى دستور العقوبات قتلتنى بالإهمال بالشك بالغيرة.. خنقتنى بحبل العقل والوقار والمنطق.

رحمى :أنا «قاضى».. أنا المنطق.. لو تحيزت بعواطفى لإنسان حابقى أسوأ «قاضى» فى الوجود.. حابقى الإنسان الضعيف.

كوثر :الإنسان الضعيف هو الإنسان الحقيقى.. هو إنسان الحب.

رحمى :كوثر..

كوثر :أنا مش كوثر.. كوثر انتهت.. أنت قتلتها بإديك من زمان.

الشرقاوى :وهذه هى الجريمة ١٨ فى ملف المتهم.. ١٨ جريمة قتل.. إيه رأيك؟

رحمى : أنا مش فاهم حاجة.

الشرقاوى : أفتكر دى قضية واضحة لا تحتاج إلى فهم.. بص حواليك تلاقى كل ضحاياك.. كل جريمة من جرايمك بتتكلم.. كل فعل من أفعالك يسعى على قدميه.

رحمى : [فى ضعف واستسلام]: كفاية.. اللى عايزين تعملوه اعملوه.. عاقبونى وخلصونى.. ماعادش لى حاجة أبكى عليها.. كل اللى كنت باجرى وراه كان كذب فى كذب.. كل الناس كذابين.. ماحدش فاهم حاجة.. الدنيا اللى عشتها بتفكرنى بالروايات البايخة اللى كنا بنروحها زمان واحنا عيال.. ونطلع نسقف ونقول.. سيما أونطه هاتوا فلوسنا.. أنا كما عاوز أرجع التذاكر وآخد فلوسى.. خلاص.. هاتوا فلوسى.. عاوز أطلع.

الشرقاوى : [يضحك]: تطلع فين؟

رحمى : عاوز أطلع بره.

الشرقاوى : [يضحك]: بره فين؟! مفيش بره.

رحمى : بره الأكاذيب دى..

الشرقاوى : بره الأكاذيب دى فيه أكاذيب تانية.. كل العالم اللى أنت فيه أكاذيب.. تطلع من كذبة تلاقى كذبة [يضحك] أنت عارف أنت فين.. أنت فى جهنم.. دى [يشير إلى ما حوله] اسمها جهنم.. واحنا زبانية جهنم.. حانعيش طول عمرنا كده مع بعض نطلعك من كذبة ندخلك فى كذبة..

نعذب فيك.. وتعذب فينا إلى ما لا نهاية.. إلى الأبد.

رحمى :[فى رعب]: مش معقول.. مش معقول.

الشرقاوى :أبدًا.. هى دى الحقيقة..

رحمى :طيب وفين النار؟

الشرقاوى :النار فى قلوبنا [يشاور على قلبه].. جوه..

رحمى :أعوذ بالله.

الشرقاوى :وأنت مقضى عليك بالحياة زى طور الساقية اللى متغمية عينيه.

رحمى :وفين المذنبين التانيين؟! هو مفيش حد مذنب فى الدنيا غيرى؟! فين توفيق؟ فين مراتى اللى خانتنى؟ فين الناس اللى كذبوا على؟ فين الناس اللى غرروا بى؟

الشرقاوى :ده سجن انفرادى.

رحمى :ومفيش محاكمة.. مفيش حساب.

الشرقاوى :طول الوقت محاكمة.. حياتك كلها محاكمة.. جلسة معقودة طوالى.. استجواب لا نهائى.. طول عمرنا حانقعد نحاكم فيك.. احنا ورانا إيه!!

رحمى :محاكمة من غير حكم.. مفيش نهاية.. مفيش حكم..؟

الشرقاوى :جايز يكون فيه حكم.. وجايز مايكونش فيه حكم.. ماحدش يعرف..

رحمى :مفيش أمل؟!

الشرقاوى :الأمل دى كلمة شاعرية.. ماهاش معنى فى قواميس

الواقع اللى عندنا..

رحمى : [يصرخ]: واتظلم لمين؟! فهمونى؟

الشرقاوى : اتظلم لنا برضه.. مفيش هيئة غيرنا.

رحمى : وفيه نتيجة للتظلم؟

الشرقاوى : جايز يكون فيه نتيجة.. وجايز مايكونش فيه نتيجة.. ماحدش يعرف؟!

رحمى : [يصرخ]: مش معقول.. انتو عايزين تجننونى.. [يبكى].

[هيئة المحكمة تطقطق بألسنتها فى أسف]

الشرقاوى : لا.. لا.. عيب الكلام ده.. أنت راجل كبير.. مستشار عظيم قد الدنيا.. قانونى عبقرى.. لا.. لا..

[المحكمة تطقطق بألسنتها فى أسف.. وتردد فى وقت واحد]

وده برضه كلام.. واحد زيك يعيط؟! اخليت إيه للعيال.. كويس كده الناس اللى شنقتهم بيتفرجوا عليك.. يقولوا عليك إيه؟

[صوت مُدَوٍّ يُسْمَع من خارج المسرح]

البوسطجى: تقرير الطبيب الشرعى وصل.

[رحمى ينتفض واقفًا فى قفصه ويضىء وجهه بالأمل.. ويبدو عليه التوتر والخوف.. والفضول.. واللهفة.. وهيئة المحكمة تعتدل فى أماكنها.. وتمتد أيديها نحو التقرير المجهول.. يدخل رجل فى زى «بوسطجى» يحمل رسالة.. يتقدم بها إلى الشرقاوى.. الرسالة عبارة عن لفافة طويلة من جلد الغزال - تشبه الرسائل التى كان

يتبادلها السلاطين والخلفاء فى غابر الأزمان.. الشرقاوى يفض اللفافة - اللفافة طويلة جدًا - تتدلى على الأرض.. يمد الجميع أبصارهم ليقرأوها.. كل واحد يمسك بمطلع منها.. كلهم يقرأون فى صوت واحد.. بصوت فيه رهبة]

- اتضح بالكشف الدقيق على المتهم رحمى سعودى أنه مجنون جنونًا مطبقًا.. وغير مسئول عن أفعاله.

[تبدو الحيرة وعدم التصديق على الوجوه.. يعودون إلى القراءة من جديد بنغمة أخرى]

- اتضح من الكشف الدقيق على المتهم رحمى سعودى.. أنه مجنون جنونًا مطبقًا.. وغير مسئول عن أفعاله.

الشرقاوى :[يهز رأسه فى إشفاق]: مسكين !

[صدى صوت كلمته يتردد على الشفاه.. وفى ميكروفونات مركبة فى أماكن مختلفة]

- مسكين.. مسكين !

[يلف اللفافة من جديد ببطء ويربطها بالرباط الحرير.. همهمة ولغط فى المحكمة يرتفع رويدًا رويدًا حتى يصبح ضجة.. وجه رحمى أصفر شاحب، ولكنه يبتسم ابتسامة مرتجفة]

الشرقاوى : بناء على تقرير الطبيب الشرعى وحيث إنه ثبت جنون المتهم المطبق وعدم مسئوليته عن أفعاله.. نحكم بما هو آت.. براءة المتهم من الجرائم المنسوبة إليه.. والإفراج

عنه.. وإطلاق سراحه فورًا.

[لغط وهمهمة حتى تصبح ضجة.. إشارات استنكار.. وصيحات احتجاج.. المجنى عليهم يدقون الأرض بأرجلهم]

الشرقاوى :[يدق بشاكوشه]: وعلى حارس المحكمة أن يسلمه إلى أهله.

الحارس :[يفتح القفص ويسحب رحمى من يده إلى الخارج]: المتهم ملوش أهل يا أفندم.

الشرقاوى :إذن يُسلم إلى ضميره.

[موسيقى تأثيرية عنيفة تعزف فيها كل الآلات فى وقت واحد.. أصوات كالعاصفة.. ثم تختفى المحكمة دفعة واحدة، ويختفى الموجودون جميعهم وتبتلعهم الأرض.. لا أحد يبقى سوى رحمى.. واقفا وحده فى غرفة المكتب الواسعة التى يعمل بها فى نور الأباجورة المظلل الخافت.. مازال صدى الصوت يتردد فى ميكروفونات متعددة.. وبنغمات مختلفة]

صدى صوت خافت: يسلم إلى ضميره.

رحمى :مستحيل.. مستحيل.. أنا اتعذبت كفاية.

الصوت :[فى همس]: يسلم إلى ضميره.

رحمى :مستحيل.

الصوت :[فى همس خفيض]: يسلم إلى ضميره.

رحمى :مش ممكن أسلم نفسى لحد.

[يتلفت حوله.. يتجول باحثًا عن مخرج]

وحاروح فين؟
[يتلفت فى جزع باحثًا فى ركن]
حا أهرب إزاى؟

الصوت : يسلم إلى ضميره.

[رحمى ذراعاه مفتوحتان فى حيرة لا حد لها.. يتحسس الجدران بيديه باحثًا عن منفذ.. يحرك أكرة الباب ولكن الباب لا ينفتح وكل الأبواب لا تنفتح.. تتسع عيناه من الذعر.. يخبط بيديه على كل سكان فى الجدار.. يخبط على الأبواب.. (الهمس يرتفع فيصبح خشنا].

يسلم إلى ضميره.. يسلم إلى ضميره..

رحمى :[يدق بجماع قبضته على الجدران]: الباب.. الباب.. فين الباب؟

الصوت :يسلم إلى ضميره.

[صدى غليظ فظيع يرج المسرح.. رحمى ينهار باسطًا ذراعيه فى استسلام.. تنفتح نافذة فى الغرفة.. يبدو منها وجه الأم غارقًا فى الضوء.. وجهها شاب.. لقد عادت إلى شبابها]

الأم :[فى حنان]: مالك يا بنى؟

رحمى :أنت فين يا أمى؟! قالو لى إنك مُتِّ يا أمى.

الأم :مفيش حد بيموت يابنى.

رحمى :لكن أنت رجعتى شابة يا أمى.

الأم :القلوب الطيبة ماتعرفش الشيخوخة.. الشيخوخة فى

الدنيا بس.. لكن هنا مفيش شيخوخة.

رحمى :لكن أنت معانا فى الدنيا.. أنتِ بتتكلمى من الدنيا يا أمى؟

الأم :أنا مش فى الدنيا.. أنا انتقلت.

رحمى :يبقى هم ما كدبوش علىَّ.. تبقى أنت ميتة..

الأم :الموت ملوش وجود.. احنا بنغير العنوان.. كل اللى بيحصل إن احنا بنغير العنوان.

رحمى :لكن الدنيا اللى أنت فيها جميلة يا أمى.. كلها نور.. نفسى أجى عندك.

الأم :تعال يابنى..

رحمى :آجى إزاى والأبواب كلها مقفولة علىَّ.. أنا مسجون.

الأم :أنت اللى قفلت على نفسك.. أنت اللى سجنت نفسك .. ربنا بيساع فى رحمته كل الناس.. لكن أنت اللى حرمت نفسك من رحمة الله.. قفلت عقلك مش عايز تصدق.. قفلت قلبك مش عايز تحب.. خنقت عواطفك مش عايز ترحم.. مش عايز تآمن بأى حاجة.. أنتَ اللى بنيت حواليك الجدران دى كلها.

رحمى :[يخبط فى الجدران]: مش معقول يا أمى.. أنتِ بتضحكى عليه.. أنت فاكرانى لسه طفل صغير.. أنت ميتة يا أمى.. وبتضحكى علىَّ.

الأم :مفيش موت يا بنى.

رحمى : حا أزورك فى القرافة.. كل الميتين هناك.

الأم : مش حاتلاقينى.. حاتلاقى مجرد جسم.. مجرد تراب.. ورقة غياب.

رحمى : [يصرخ]: يعنى إيه؟! يعنى احنا مش حانموت أبدًا.. يعنى مفيش نهاية؟

الأم : [فى هدوء]: مفيش نهاية..

رحمى : [يستدير فى يأس يواجه الصالة ويصيح بصوت جهورى]: سامعين.. يعنى.. مفيش نهاية [ينهار تمامًا].

صدر للمؤلف

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

قصص مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
مسرحيات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع		١٩٩٢ / ٧٣٠٠
الترقيم الدولى	977 - 02 - 3786 - 8	ISBN

١ / ٩٢ / ٢١٩

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)



تحرص دار المعارف دائما على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.